الوضع السياسي العام في العراق كما رسمه ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد

الباحث- هيثم سعدون حميد ا.د- رياض عبد الحسين[٢]
كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة واسط،

الملخص:

يتناول بحثنا الوضع السياسي العام في العراق كما رسمه ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد .وهو يمثل دراسة لرؤية رجل من المغرب الإسلامي (الاندلس)، له توجهاته السياسية، والمذهبية، والمناطقية ، المخالفة لأهل العراق.

البحث يتتبع ميول ابن عبد ربه بكل ابعادها واسقاطاتها على الروايات التي تتعلق بالعراق، ثم يشخص الصورة التي كان قد رسمها في ضوء ميوله تلك، وبطبيعة الحال كان الصورة مشوشة، وان كانت هناك إشارات في بعض جوانب الصورة تحكي عظمة العراق ، لكن لا تقارن مع ما ساقه من صور سلبية مزيفة عن العراق وأهله، وربما كانت تلك الصور غازل بها العراق فأقحمها ابن عبد ربة ذرا للرمادِ في العيون ، ليخفي توجهاته السياسية.

البحث جاء بمحورين أساسيين الأول سينقل الصورة المزيفة التي رسمها ابن عبد ربه والتي تقوم على تحسين الصورة الاموية على حساب العراق وأهله والثاني سيتولى نقل الصورة الواقعية للعراق تلك التي اخفى معالمها ابن عبد ربه وختم المحورين بالنتائج التي توصل لها وكان أهمها هو اعلاء كل ما هو اموي وتقزيم كل ما هو عراقي .

Abstract

This research deals with the general political situation in Iraq, as depicted by Ibn Abd Rabba, in his book "Al-Aqd Al-Farid" ["The Unique Decade"], representing a study of the vision of a man from the Islamic West (Andalusia), with his political, sectarian, and regional orientations which are contrary to the people of Iraq.

The research traces the tendencies of Ibn Abd Rabba in all its dimensions and implications on the narrations related to Iraq, and then diagnoses the image that he had drawn in the light of his inclinations. Indeed, the image was blurry; and, although there were signs in some aspects that tell about the greatness of Iraq, yet, they are few compared with those of false and negative images, where he talks good about Iraq and its people in some points to hide his political orientations.

The research has two main axes. The first conveys the fake image drawn by Ibn Abd Rabba, which is based on improving the Umayyad image at the expense of Iraq and its people, and the second shows the realistic picture of Iraq which was hidden by Ibn Abd Rabba. The research ends with the conclusions, the most important of which is glorifying all that is Umayyad and belittling all that is Iraqi.

The general political situation in Iraq as depicted by Ibn Abd Rabba in his book Al-Aqd Al-Farid ["The Unique Decade"]

المقدمة

يتناول بحثنا الوضع السياسي العام في العراق كما رسمه ابن عبد ربه في كتابه العِقد الفريد .وهو يمثل دراسة لرؤية رجل من المغرب الإسلامي (الأندلس)، له توجهاته السياسية، والمذهبية، والمناطقية ، المخالفة لأهل العراق.

إن العراق كان ومازال يمثل قلب العالم النابض، ولم تتمكن الأطراف المعادية له من أن تسقطه من معادلة الحسابات السياسية العالمية، واي محاولة لتغييب العراق من دون شك ستتحطم أمام تاريخه العريق، فهو صاحب أول حضارة رائدة في العالم، ولأهميته الإستراتيجية على جميع الصعد، جعلته ساحة للصراعات بين الدول الكبرى قديماً وحديثاُ، وبسبب تلك الصراعات عانى العراق أرضا وشعباً وتأريخا الويلات .

على اية حال بسبب تلك الصراعات قامت الأطراف المعادية له بمحاولات عدة للنيل من تأريخه العريق بغية تشويه صورة العراق وأهله حتى تسقطه في نظر الآخرين وحتى أمام أجياله اللاحقة لأجل السيطرة عليه ونهب خيراته. البحث سيتناول واحدة من تلك المحاولات المحمومة التي اريد لها العبث بصورة العراق والعراقيين تلك المحاولة جاءت عن طريق إحدى الشخصيات الأندلسية ذات التوجه السياسي الأموي إلا وهو ابن عبد ربه في واحد من أشهر مؤلفاته وهو العِقد الفريد اللوحة التي وضع عليها إسقاطاته السياسية والمذهبية والمناطقية حين رسم صورة العراق، فجاءت تلك الصورة مشوشة عن العراق، وإن كانت هناك إشارات في بعض جوانب الصورة تحكي عظمة العراق ، لكن لا تُقارن مع ما ساقه من صور سلبية مزيفة عن العراق وأهله، وربما كانت تلك الصور غازل بها العراق فأقحمها ابن عبد ربه ذرا للرمادِ في العيون ، ليخفي توجهاته السياسية. لكن بطبيعة الحال، نجد أن ذلك أثر كثيرا على الصورة التي رسمها عن العراق، هذا إذا ما وضعنا بنظر الأعتبار تلك الصورة أنها رُسمت في وقت تحقق فيه الحلم الأموي الذي انتظره بقايا الأمويين واتباعهم طويلاً بعد زوال دولتهم على يد العباسيين، ونعني بذلك الوقت، هو إعلان الخلافة الأموية في الأندلس سنة (٣١٦هـ) وتحديداً في أيام عبد الرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ) ، وصارت الخلافة قائمة بذاتها ومنافسة للخلافة العباسية، الخلافة الأم في العراق، وهو وقت عاصره ابن عبد ربه ، وعاش فيه نشوة (النصر). ولما كانت الخلافة في الأندلس أموية التوجه، ذلك التوجه المعادي للعباسيين، الذين يعدون

الخصوم التقليديين في نظر أمويي الأندلس ممن هم أتباع الخلافة الأموية الأم في دمشق، كما ينظرون إليهم أنهم وراء تقزيم الشام بعد نقل عاصمة الخلافة منه الى العراق من جديد، وإعلاء شأن أهل العراق عليهم، هذا أمر، والأمر الآخر أن العراق وأهله، كان أيام الأمويين مصدر القلق الأكبر لبني أمية، فحتما كل ذلك مجتمعا، له تأثيره على كتابات ابن عبد ربه. وهذه الحقيقة المرة، ونعني بها الميول الطائفية بكل أبعادها، لم تقتصر على ابن عبد ربه فحسب ، بل مشكلة نجدها عند الغالبية العظمى لمصنفي العالم الإسلامي، ومن النادر أن نجد مصنفاً استطاع أن يخرج من شراكها، وحتما مثل هذا يؤثر كثيرا على كتابات المصنف، فضلاً عن تداعياتها السلبية على وضع البلد الذي كتب عنه، وهذه الحقيقة المؤلمة أشرها المؤرخ التونسي ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، ولا يسع المجال لذكر تفاصيلها، لأنه كان مدركاً أبعادها السلبية على المجتمع الإسلامي.

وعلى وفق رؤيتنا هذه تذهب فرضيتنا الى أن ما نقله ابن عبد ربة عن العراق وأهله من صور سلبية كانت مجافية للحقيقة، بل كانت تُخفي خلفها دوافع سياسية ومذهبية ومناطقية.

موضوع البحث بوضعه المدون لم يطرق سابقا من الباحثين سواء أكان من العرب أم من غيرهم، بل لم نجد أن أحداً أفرد بحثاً متخصصاً، يمثل دراسة تأريخية عن الموضوع، تُعنى بوجهة نظر ابن عبد ربه الأندلسي بشأن الوضع السياسي للعراق وأهله.

ضمن هذا المحتوى ستعالج فرضيتنا، موضوعات بخطة تتكون من محورين أساسيين الأول سينقل الصورة المزيفة التي رسمها ابن عبد ربه والتي تقوم على تحسين الصورة الأموية على حساب العراق وأهله والثاني سيتولى نقل الصورة الواقعية للعراق تلك التي اخفى معالمها ابن عبد ربه وختم المحورين بخلاصة للموضوع وأهم النتائج التي توصل اليها البحث.

أولاًــ الصورة المزيفة: تحسين الصورة الأموية على حساب العراقيين.

عمد ابن عبد ربه إلى أن يقدم صورة مغايرة عن الوضع السياسي العراقي الحقيقي انطلاقا من ميوله الأموية، وهدف منها أن يجّمل ويحسن صورة الأمويين، تلك الصورة التي كانت في حقيقتها ظلم، واستبداد، وتنكيل للعراقيين والاستخفاف بهم، والتعدي على حقوقهم، وتلك الأعمال

المشينة بحق العراقيين كانت محل رفض منهم وقد عبروا عنها بمعارضتهم الشديدة للحكم الأموي، والتي جاءت عبر ثورات عدة ، وهذا ما حاول أن يخفيه ابن عبد ربه، لذلك ليس من المستغرب أن نجد حديثه عن الوضع السياسي في العراق كان منصبا على العصر الأموي وبتركيز أقل على العصر الراشدي وبالشكل الذي وظفه بما يخدم هدفه وهو تحسين الصورة الأموية على حساب أهل العراق؛ لذلك نجده قد حجب الصورة السياسية للعراق العباسي ، فحين يمر على خلفاء بني العباس الذين يجلسون في مقر حكمهم في عاصمة دولة الخلافة بغداد، لم يتحدث عن علاقتهم بالعراقيين ولا عن موقف العراقيين منهم، بل جاء حديثه منصبا على السيّر الذاتية للخلفاء الذين حكموا دولة الخلافة الى أيامه، بدأ من الخليفة أبي العباس السفاح (١٣٢ – ١٣٦ هـ) مرورا بأبي جعفر المنصور ١٣٦–١٥٨ هـ، ومن ثم المهدىّ أبي عبد الله بن المنصور (١٥٨ – ١٦٩هـ)، ومن بعده الهادي أبى محمّد موسى بن المهدىّ ١٦٩– ١٧٠هـ ، فالرشيد أبي جعفر هارون بن المهدىّ (١٧٠ – ١٩٣هـ)، ويله أبنيه الأمين محمّد ١٩٣ – ١٩٨هـ)، ثم المأمون (١٩٨– ٢١٨ هـ) ، ومن بعدهما يأتي أبي إسحاق محمّد بن الرشيد المعتصم (٢١٨– ٢٢٧هـ) ، ومن بعده أبناه الواثق أبو جعفر هارون (٢٢٧– ٢٣٢ هـ)، وأبو الفضل جعفر المتوكّل، (٢٣٢– ٢٤٧ هـ) ومن ثم حفيد المعتصم، المنتصر محمد بن المتوكل (٢٤٧– ٢٤٨هـ)، ومن بعده ابن المنتصر المستعين أحمد (٢٤٨ــ ٢٥٢هـ)، ومن بعده بويع للمعتزّ بن المتوكّل ، (٢٥٢ــ ٢٥٥هـ)، والمهتدي(٢٥٥ــ ٢٥٦هـ)، والمعتمد أبى العبّاس أحمد بن المتوكّل (٢٥٦هـ – ٧٩ ٢هـ)، وأبي العبّاس أحمد بن أبى أحمد المعتضد (٢٧٩– ٨٩ ٢هـ)، وأبي محمّد عليّ المكتفي (٢٨٩– ٢٩٥هـ)،وأبي الفضل جعفر المقتدر باللّه (٢٩٥–٣٢٠هـ) ، والقاهر (٣٢٠ــ ٣٢٢هـ)، وأخيراً الراضي (٣٢٢–٣٢٩هـ) [1] الذي عاصر جزء من حكمه لكون ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ).

(١) العقد الفريد ، تحقيق: محمد مفيد قميحة(ج ١-٢) وعبد المجيد الترحيني (ج٣-٨) ، ط١، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ) ، ج٥ ، ص٣٦٩ -٣٨٥. لكن المستغرب إننا وجدنا إن ابن عبد ربه تحدث عن ثلاثة خلفاء عباسيين لم يعاصرهم وإنما توفي قبل حكمهم وهم بالتتابع: المتّقي (٣٢٩-٣٣٣هـ) ثم المستكفي سنة ٣٣٣ - ٣٣٤ هـ المطيع أبا القاسم الفضل بن المقتدر (٣٣٤- ٣٦٣هـ)، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٣٨٦ -٣٨٨. وفي حديثه عن الخليفة القاهر(٣٢٠- ٣٢٢هـ) ذكر ابن عبد ربه إنه عاش بعد خلعه عن الخلافة الى أيام المطيع، العقد الفريد، ج٥، ص٣٨٥ ، لكن بما إن هناك أجماع على سنة وفاة ابن عبد ربه

على أيه حال، إن حديث ابن عبد ربه جاء وكما سبق أن ذكرنا متركزاً على السيّر الذاتية للخلفاء العباسيين فحسب، فشمل اسم الخليفة وسنة ولادته، وحكمه ووفاته، وأوصافه الخُلقية: اللون، والطول والعلامات الفارقة وغيرها من الصفات الخُلفية، ونقش خاتمه، وأسماء وزرائه وحجابه، وموقع الوفاة والدفن[١]. في وقت أن المدة الممتدة من سنة ١٣٢- وحتى ٣٢٨هـ سنة وفاة ابن عبد ربه، كانت حافلة بالأحداث السياسية في العراق[٢]، إلا إننا لم نجد الأهتمام بها من ابن عبد ربه مثلما أهتم بأحداث العراق في العصر الراشدي والأموي، ونرجح ذلك الأحجام لتوجهه الأموي المعادي للعباسيين ، وربما خوفه من غضب السلطة العباسية ؛ لأنه كان معاصرا لعدد من خلفائها، وعلى أقل تقدير المدة التي قد ينتشر بها كتابه في أرجاء العالم الإسلامي، لا سيما وأنه وصل إلى بغداد.

من القدامى والمحدثين وهي السنة (٣٢٩هـ) فنرجح أن تكون هذه إضافات من الناسخ بدليل أن ابن عبد ربه لم يقدم شواهد تأريخية في عموم كتابه تتعلق بمدة حكم أولئك الخلفاء.

(١) للوقوف على تلك التفاصيل ينظر :ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٣٦٩ -٣٨٥.

(٢) للوقوف على تلك الاحداث ينظر : محمود شاكر ، التأريخ الإسلامي(الدولة العباسية)، ط٥(بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩١)ج١(يتحدث فيه من قيام الدولة العباسية حتى خلافة المتوكل)؛ محمد الخضري، محاضرات في تأريخ الأمم الإسلامية ،(الدولة العباسية)ط١(القاهرة: مؤسسة المختار، ٢٠٠٣) ص٢- ٣٤٤(الأحداث المتعلقة بالعراق) ؛زينب خلف علي حراحشة، موقف فقهاء العراق من السلطة العباسية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم والأداب ، جامعة آل البيت، ٢٠٠٣) ؛ محمد فياض محمد العزي، الخلاف بين الجيش والدولة في ظل العباسيين (٢٤٧-٣٤٤هـ) رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التأريخ، كلية الأداب ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠١؛ خالد مسير القعيد الظفيري ، أثر المعتزلة في الحياة السياسية للدولة العباسية ١٩٨-٢١٨هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التأريخ ، كلية الأداب، جامعة آل البيت، ٢٠١٧؛ سعد خلف سليمان الحنيطي ، فقهاء العراق والسلطة العباسية ، ١٣٢-١٩٨هـ ، قسم التأريخ ، كلية الأداب، جامعة آل البيت،(لم يظهر عليها تاريخ اعدادها هي منشورة على الشبكة العنكبوتية على الرابط الاتي: (https://l.facebook.com/l.php?u=https

أــ التوظيف السلبي لأمثلة من العصر الراشدي.

في هذا الشأن حاول أن ينتقي ابن عبد ربه صور من العصر الراشدي تلك التي تخدم توجهاته في تقديم صورة حسنة عن الأمويين، وأهمال كل ما يخالف ذلك التوجه، لذلك قام بالتلاعب بتلك الصورة كما فعل في صور من أيام الخليفتين عثمان بن عفان، وعلي بن ابي طالب، أما أيام الخليفة أبي بكر(١١-١٣هــ) فلم يقدم أي شاهد تأريخي سياسي يستحق الذكر عن حالة العراقيين أيام الخليفة الراشدي الأول، في حين في أيامه شهد العراق احداثاً سياسية وعسكرية مهمة، تمثلت بتحرير أجزاء واسعة من العراق على يد القائدين الشهيرين خالد بن الوليد (ت٢١هــ) ،والمثنى بن حارثة الشيباني(ت ١٤هــ) ، وكان في وقتها العراق تحت السيطرة الساسانية، وفي العام (١٢هــ) خاضت القوات الإسلامية معارك عدة مع القوات الساسانية والقوات العربية الموالية لها، تمخضت عن تحرير مدن عراقية عدة أهمها الابلة، واليس[١] وامغيشيا[٢]، والحيرة ،والأنبار، وعين التمر وغيرها من المدن الآخرى[٣]. أما عن الوضع السياسي أيام الخليفة عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣هــ) فهو الآخر لم يقدم ابن عبد ربه عنه شواهد تأريخية على الرغم من أنه شهد أحداثاً جسام، تمثلت بهزيمة القوات الساسانية في معركة القادسية سنة (١٤هــ)، والتي كانت علامة فارقة في تأريخ العلاقات الإسلامية – الساسانية، وتلك المعركة التي جرت أحداثها في العراق، كانت قد فتحت الباب لأستكمال فتح بقية المدن العراقية مثل: المدائن، وحلوان ، وجلولاء وتكريت والموصل، وفي أيامه تم أستقلال

(١) أَلّيس : قرية من قرى الأنبار، وهي الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية ، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ط ٢، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥). ،ج١، ص٢٤٨.

(٢) أَمْغِيْشَيَا: موضع كان بالعراق كانت فيه وقعة بين المسلمين والفرس، فلما ملكها المسلمون أمر خالد بهدمها ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج١، ص٢٥٤.

(٣) للوقوف على تلك الاحداث ينظر: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري ، فتوح البلدان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨). ، ص ٢٣٨ فما بعدها ؛ ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ، ط ٢ (بيروت: دار احياء التراث، ١٣٨٧ هـ). ج٣، ص ٣٣٩ فما بعدها ؛ محمود شاكر ، موسوعة الفتوحات العربية الإسلامية ، ط١(الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢) ص ٨-٢٥.

العراق عن السيطرة الساسانية فضلاً عن تمصير البصرة والكوفة[١].ولعل أيام الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب لم يجد ابن عبد ربه من الشواهد التأريخية ما يمكن تسويغه ضد العراقيين، وربما كانت أيامهما شهدت مرحلة فتح للعراق، ولم يكن قد شهدت نشوء الأحزاب السياسية المعروفة بجلاء.

أما بالنسبة بخصوص الوضع السياسي العراقي أيام الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) فكان له منه شاهد تأريخي جاء فيه أن الخليفة عثمان بن عفان كتب إلى : " أهل الكوفة حين ولاهم سعيد بن العاص: أما بعد، فإني كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاما حين ذهب شرهه وثاب حلمه، وأوصيته بكم ولم أوصكم به، فلما أعيتكم علانيته طعنتم في سريرته؛ وقد وليتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته، وأوصيكم به خيرا، فاستوصوا به خيرا"[٢]. في هذا الشاهد ألقى ابن عبد ربه اللوم على العراقيين وأظهرهم بالموقف المشاكس والمتمرد على الولاة، لكن في الحقيقة كان الواقع غير ما نقله ابن عبد ربه وملخصه : أن الخليفة عثمان بن عفان حين عزل الوالي سعد بن أبي وقاص سنة ٢٥هـ ، وكان سبب عزله نتيجة خلاف حدث بينه وبين عبد الله بن مسعود المسؤول عن بيت المال؛ لأنه حين اقترض سعد من بيت المال، وأعطى به على نفسه صكاً، طلب مِنه عبد الله بن مسعود بعد فترة أن يؤدي دينه، فرفض سعد ذلك، وطلب منه أن ينتظر حتى يتيسر له المال، الأمر الذي رفضه ابن مسعود، فنشب شِجار بينهما، أنتهى بوصول الأمر إلى الخليفة عثمان الذي سارع بعزل سعد وولى بدلاً مِنه الوليد بن عقبة [٣]،لكن الوالي الجديد لم يكن محل أطمئنان لأهل الكوفة، لأنه كان من المذمومين في عهد رسول الله الاكرم (ص) ، فاستاء أهل الكوفة من توليته عليهم؛ لأنهم لم يروا فيه الحاكم الكُفء، ولا صاحب الدين المستقيم، حتى صلّى بالناس يوماً وهو مخمور، وعلى أثرها ذهب وفد من أهل الكوفة يشهد على

(١) للوقوف على تلك الأحداث ينظر: البلاذري، فتوح البلدان ، ص ٢٧٠-٢٨٤، ٣٣٧-٣٦٢؛ محمود شاكر ، موسوعة الفتوحات العربية الإسلامية، ص ٢٦-٣٢.

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥، ص٥٧.

(٣) الطبري ، تأريخ الطبري ، ج ٤، ص ٢٥١ ؛ عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون ، كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر في تأريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المعروف بتأريخ ابن خلدون ، تحقيق : خليل شحادة ، ط٢،(بيروت : دار الفكر، ١٩٨٨ م) ، ج٢، ص ٥٧١ .

الوليد بمعاقرة الخمرة، الأمر الذي أثار غضب الخليفة عثمان ، وعلي بن أبي طالب (ع)، وكبار أعيان المدينة فعزله الخليفة وأتى به إلى المدينة حيث أقام عليه الحد[١]، وما كان من الخليفة عثمان إلا أن ولّى على الكوفة سعيد بن العاص بدلاً عن الوليد سنة (٣٠ هـ)، وقد أستقبل أهل الكوفة سعيداً بكل رحابة صدر، وكانت الأمور تنبئ بخير، للتوافق بين الأمير ورعيته، إلا أن هذا الحال التوافقي لم يستمر طويلاً قبل أن يُعكره سعيد بن العاص نفسه، ففي عام (٣٣ هـ)، وفي أحدى الليالي حين كان الأمير جالساً مع كبار أهل الكوفة قال في خضم جدال طويل " إِنَّما هذا السَّوادُ بُسْتانٌ لِقُريش"[٢] (يعني أن أرض العراق ملك لقريش) ،الأمر الذي أغضب كبار أهل الكوفة الذين لم يتأخروا بالرد عليه بقولهم: "إنما السواد فَيْءٌ أفاءه الله علينا، وما نصيب قريش منه إلا كنصيب غيرها من المسلمين"[٣]، فغضب صاحب الشرطة؛ لأن القوم ردوا رداً غليظاً على الأمير، فحدث تشاجر واشتباك بالأيدي أدى إلى ضرب صاحب الشرطة وإغمائه[٤]، وعلى أثرها كتب سعيد بن العاص إلى الخليفة عثمان بما حدث، فأرسل الخليفة أمره بإخراج الذين ردوا على الأمير ونفاهم إلى الشام عند معاوية لاستصلاحهم[٥]، ووصلوا إلى معاوية الذي أحسن معاملتهم في بادئ الأمر، وظل يدخل عليهم، ويناظرهم ويعظهم ويذكرهم في فضل قريش على العرب فلم يقنعوا بكلامه، وردوا عليه قائلين بأن الإسلام لا يعرف لقريش فضلاً غير أن النبي(ص) بعث منهم، وأن انبعاث النبي(ص) من قريش لا يبيح لها التحكم في رقاب الناس، كما أن لا حق لقريش بأن تمتاز عن بقية العرب، فكل الناس في الإسلام سواسية، بل إنهم طلبوا منه أن يعتزل الإمارة لمن هو أقدم منه في الإسلام عهداً، وأكرم منه أباً، وأجدر منه أن يقيم حدود الله ، ويظهر أن معاوية قد خاف منهم أن يحرضوا أهل الشام عليه، فكتب إلى الخليفة عثمان

---

(١) الطبري ، تأريخ الطبري ، ج٤، ص ٢٥٦ ؛ عز الدين محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٩) ، ج ٢، ص٤٧٧ ؛ ابن خلدون ، تأريخ ابن خلدون ، ج٢، ص ٥٨١ .

(٢) الطبري ، تأريخ الطبري، ج٤، ص ٣٢٣ ابن الأثير، الكامل في التأريخ ، ج٥١٢ .

(٣) المصدر نفسه الجزء ، والصحفة ؛ المصدر نفسه الجزء ، والصحفة .

(٤) المصدر نفسه الجزء ، ص ٣٢٣ ، المصدر نفسه الجزء ، والصحفة .

(٥) ابن خلدون ، تأريخ ابن خلدون ، ج ٢، ص٥٨٩ .

يطلب منه إبعادهم عنه وإعادتهم إلى الكوفة، فقبل الخليفة عثمان بذلك، ولم يكادوا يعودون إلى الكوفة حتى أطلقوا لسانهم في سعيد بن العاص وعادت المشاحنات بينهم وبينه من جديد ، فأعاد سعيد الكتابة إلى الخليفة عثمان، يشكو له منهم، ويطلب منه إبعادهم عنه، فأمر الخليفة عثمان بنفيهم مرة أخرى، لكن هذه المرة كان النفي إلى الجزيرة، وفي طريقهم اليها مروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص، وتلقاهم عبد الرحمن على عكس معاوية، فجعل يسومهم الخسف، ويعظم لهم أمر نفسه، وأمر أبيه وأمر قريش، لا بالمناظرة والحجج الدينية، وإنما بالقول الغليظ ، والسيرة التي هي أغلظ من القول، فحينما زاد في أذيتهم أظهروا له الطاعة، والقبول بسيادة قريش وتميزها على العرب، وأرسلوا في وقتها إلى الخليفة عثمان مالك بن الحارث الأشتر ليبين له طاعتهم فقبل الخليفة عثمان ذلك[١]، لكنهم ظلوا مُقيمين عند عبد الرحمن، لكن إقامتهم لم تطل، فحين قدِم سعيداً على الخليفة عثمان في المدينة سنة (٣٤هـ)، أستغل أهل الكوفة خروجه منها، فتجمعوا وأقسموا ألا يدخلها سعيد مرة أخرى، وكتبوا إلى أصحابهم المنفيين عند عبد الرحمن بن خالد، وحين وصلهم الخبر فروا من عبد الرحمن وأقبلوا مُسرعين الى الكوفة [٢] ، بعدها تَحدث وفد من الكوفة مع الإمام علي إلى جانب وفود الأمصار الأخرى بشأن تهاون الخليفة عثمان مع ولاته، وعلى أثرها تكلم الإمام علي مع الخليفة عثمان بذلك الشأن ، لكن لم تنته المشكلة، بل تفاقمت ولم تفض إلى حل وأنتهت بمقتل الخليفة، وكان لأهل العراق مشاركة فاعلة في تلك الثورة التي أندلعت ضد الخليفة عثمان بن عفان كما هو معروف[٣].

وحين يأتي ابن عبد ربه للخليفة علي بن ابي طالب (ع) حاول أن ينتقي من خطبه[٤] التي كانت موجه لمجموعات من جيشه، تلك التي كانت واقعة تحت التأثير الأموي، وتعمل لمصالحها الخاصة، وكانت تلك الخطب استعملت فيها عبارات نقدية لمواقف تلك المجموعات، وهي لا تخص كل العراقيين، لا سيما أن جيش الإمام علي يتألف من عموم الدولة الإسلامية وقت ذاك

---

(١) ابن خلدون ، تأريخ ابن خلدون ، ج ٢، ص٥٨٩ .

(٢) المصدر نفسه الجزء ، ص ٥٩٢.

(٣)ابن خلدون ، تأريخ ابن خلدون ، ص ٥٩٢، ج ٢.

(٤) للوقوف على تلك الخطب ينظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١، ص١٠٥، ج٤ ،١٦٠ - ١٦٣، ١٦٩، ج٥، ص٨٥-٨٦.

عدا الشام، لأنه لو كان العراقيون مثل ما يراهم ابن عبد ربه كلهم هكذا لما أستطاع الخليفة علي بن أبي طالب (ع) أن يهزم أصاحب الجمل بهم، ولا يُقارع معاوية في صفين، ولا الخوارج في النهروان، ولا تمكن أن يحكم من سنة (٣٥- ٤٠هـ)،وحين أنتهت حياته كانت على يد الخوارج، ولم يكن معاوية بعيدا عن حياكة تلك المؤامرة ضد الإمام علي، لكن ابن عبد ربه تعامل مع تلك الشواهد التأريخية بدهاء بُغية جعلها تصب في صالح الأمويين وأهل الشام على حساب أهل العراق، لأنه يدرك أن العراق وأهله هم الأكثر معارضة للأمويين والأشد رفضاً لحكمهم، فلذلك حرص أن يأخذ من خطب الخليفة الراشدي الرابع ويعطيها صفة العموم لكل العراقيين في وقت كانت تلك الخطب لها مناسباتها الخاصة، بُغية أن يصور العراقيين الرافضين والمقاطعين للحكم الأموي بأنهم مشاكسين ويصور تلك المشاكسة بأنها أمر ليس بجديد عليهم، وإنما كانت حالهم تلك حتى مع رمزهم الأعلى علي بن أبي طالب (ع)، لكن نسى ابن عبد ربه إن العراقيين فضلوا الموت على أن يشتم علي بن أبي طالب (ع)، وقاموا بثورات عدة ضد الحكم الأموي استندت في أهدافها الرئيسة إلى الدفاع عن حق الإمام علي في الخلافة كما سنأتي عليها لاحقاً في بيان الصورة التي أخفها ابن عبد ربه. ويستمر ابن عبد ربه في تقديم صورة مشوهة عن أهل العراق من أيام الإمام علي لصالح أهل الشام ، إذ يسوق شاهد تأريخي أيضا عن وقعة صفين(٣٧هـ) يصف به العراقيين بأنهم ناس لا يتمتعون بشجاعة، ولا برأي مستقل، ولا ثبات على موقف ،وأنهم سُذج يُخدعون بسرعة، وأن زعيمهم علي ابن أبي طالب (ع) غير مطاع، وأن أهل الشام وزعيمهم معاوية بالضد من ذلك، كما في الشاهد التاريخي الذي ينقله جاء فيه : " لما كان يوم الهرير، وهو أعظم يوم بصفين، زحف أهل العراق على أهل الشام فأزالوهم عن مراكزهم، حتى انتهوا إلى سرادق معاوية، فدعا بالفرس وهم بالهزيمة، ثم التفت إلى عمرو بن العاص وقال له: ما عندك؟ قال: تأمر بالمصاحف فترفع في أطراف الرماح، ويقال: هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم ...فلما نظر أهل العراق إلى المصاحف، ارتدعوا واختلفوا: قال بعضهم: نحاكمهم إلى كتاب الله، وقال بعضهم: لا نحاكمهم، لأنا على يقين من أمرنا ولسنا على شك. ثم أجمع رأيهم على التحكيم، فهم علي أن يقدم أبا الأسود الدؤني، فأبى الناس عليه؛ فقال له ابن عباس: اجعلني أحد الحكمين، فو الله لأفتلن لك حبلا لا ينقطع وسطه، ولا ينشر طرفاه، فقال علي: لست من كيدك ولا من كيد معاوية في شيء؛ لا أعطيه إلا السيف حتى يغلبه الحق. قال: وهو والله لا يعطيك إلا السيف حتى يغلبك الباطل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك تطاع اليوم

وتعصي غدا، وإنه يطاع ولا يعصى!.فلما انتشر عن علي أصحابه قال: لله بلاء ابن عباس، إنه لينظر إلى الغيب بستر رقيق. قال: ثم اجتمع أصحاب البرانس وهم وجوه أصحاب علي- على أن يقدموا أبا موسى الأشعري- وكان مبرنسا- وقالوا: لا نرضى بغيره. فقدمه علي، وقدم معاوية عمرو بن العاص، فقال معاوية لعمرو: إنك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأي، فلا ترمه بعقلك كله. فأخلي لهما مكان يجتمعان فيه. فأمهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام، ثم أقبل إليه بأنواع من الطعام يشهيه بها، حتى إذا استبطن أبو موسى ناجاه عمرو فقال له: يا أبا موسى، إنك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وذو فضلها وذو سابقتها؛ وقد ترى ما وقعت فيه هذه الأمة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها؛ فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمة فيحقن الله بك دماءها، فإنه يقول في نفس واحدة ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا فكيف بمن أحيا أنفس هذا الخلق كله؟ قال له: وكيف ذلك؟ قال: تخلع أنت علي بن أبي طالب، وأخلع أنا معاوية بن أبي سفيان؛ ونختار لهذه الأمة رجلا لم يحضر في شيء من الفتنة ولم يغمس يده فيها. قال له: ومن يكون ذلك؟ وكان عمرو بن العاص قد فهم رأي أبي موسى في عبد الله بن عمر؛ فقال له: عبد الله بن عمر.فقال: إنه لكما ذكرت، ولكن كيف لي بالوثيقة منك؟ فقال له: يا أبا موسى، ألا بذكر الله تطمئن القلوب؛ خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى. ثم لم يبق عمرو بن العاص عهدا ولا موثقا ولا يمينا مؤكدة حتى حلف بها، حتى بقي الشيخ مبهوتا، وقال له: قد أجبت! فنودى في الناس بالاجتماع إليهما فاجتمعوا. فقال له عمرو: قم فأخطب الناس يا أبا موسى، فقال: قم أنت اخطبهم. فقال: سبحان الله! أنا أتقدمك وأنت شيخ أصحاب محمد! والله لا فعلت أبدا. قال: أو عسى في نفسك امر! – فزاده أيمانا وتوكيدا، حتى قام الشيخ فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني قد اجتمعت أنا وصاحبي على أن أخلع أنا علي بن أبي طالب، ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان؛ ونجعل هذا الأمر لعبد الله بن عمر؛ فإنه لم يحضر في فتنة، ولم يغمس يده في دم امريء مسلم. ألا وإني قد خلعت علي بن أبي طالب كما أختلع سيفي هذا! ثم خلع سيفه من عاتقه وجلس، وقال لعمرو: قم. فقام عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنه قد كان من رأي صاحبي ما قد سمعتم، وإنه قد أشهدكم أنه خلع علي بن أبي طالب كما يخلع سيفه؛ وأنا أشهدكم أني قد أثبت معاوية بن أبي سفيان كما أثبت سيفي هذا! وكان قد خلع سيفه قبل أن يقوم إلى الخطبة، فأعاده على نفسه؛ فاضطرب الناس وخرجت الخوارج. وقال أبو موسى لعمرو: لعنك الله! فإن مثلك كمثل الكلب: إن تحمل عليه يلهث وإن

تتركه يلهث! فقال عمرو: لعنك الله! فإن مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا. وخرج أبو موسى من فوره ذلك إلى مكة مستعيذا بها من علي، وحلف أن لا يكلمه أبدا؛ فأقام بمكة حينا ..." [١] وهذا التوجه من ابن عبد ربه يتجلى في الشواهد الأخرى التي ساقها عن واقعة النهروان(٣٨هـ) أيضا ،وفيها قدم صورة مغايرة عن الأمام علي فأظهره بأنه غير مطاع وأن العراقيين دائماً في جدال معه حتى يُظهر أنهم غير واثقين منه، وكيف أنهم متقلبي الآراء وأنهم رضوا بالحكميين ثم خرجوا على الإمام علي معترضين على الحكمين [٢].

ويبقى ابن عبد ربه مستمراً في نهجه حتى يقدم صورة مشوهة عن العراقيين وزعيمهم علي بن أبي طالب (ع) بخلاف ما يقدمه عن غيرهم، نلتمس ذلك من رواية ساقها تتعلق بخروج عبد الله بن عباس على الأمام علي حين كان ابن عباس والياً على البصرة، وكيف أظهر أن الأمام علي أنخدع به في وقت لم يُخدع فيه الخليفة عمر بن الخطاب، إذ يروي أن الخليفة عمر بن الخطاب رفض أن يُعين عبد الله بن عباس عاملا عنده ، لأنه كان يخشى تعديه على فيء المسلمين، في حين الأمام علي أنخدع به فعينه على البصرة، وأستحل الفيء وكما في الرواية التي يسوقها ابن عبد ربه والتي جاء فيها : " كان عبد الله بن عباس من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب، وكان يقدمه على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يستعمله قط، فقال له يوما: كدت أستعملك، ولكن أخشى أن تستحل الفيء على التأويل! فلما صار الأمر إلى علي استعمله على البصرة، فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى: واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واستحله من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣]. ونجده أيضا يقدم صورة حسنه عن معاوية على حساب الإمام علي، فيذكر رواية منتقاة، وهي عبارة عن عتاب الإمام علي بن أبي طالب (ع) لعبد الله بن عباس حين تعدى على بيت مال البصرة والتوجه به الى الحجاز، ورجاءه بإعادته من دون أن يتخذ أي أجراء رادعاُ بحقه[٤]، هنا يريد أن يقول بأن عبد ربه أين الذي كان يشاع عن الإمام علي من إنه لا تأخذه في الحق لومة لائم، فأظهر الإمام علي بمظهر المتهاون مع عبد الله بن عباس بحجة أنه من قرابته،

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص٩٣- ٩٦.
(٢) المصدر نفسه الجزء ، ص٩٩٠١٠٢.
(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥، ص١٠٢.
(٤) المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٢-١٠٧

في وقت يسوغ للأمويين تقريبهم لأبناء الأسرة الأموية، وحين الّح عليه الأمام علي بإعادة المال المسروق هدد ابن عباس الإمام علي بقوله : " والله لئن لم تدعن من أساطيرك لأحملنه إلى معاوية يقاتلك به فكف عنه علي"(١).

وفي أمثلته أيضا كان يظهر معاوية إنه رجلٌ متسامح حتى مع عدوه، فيذكر أنه حين أتاه يوم صفين: " بأسير من أهل العراق، فقال: الحمد لله الذي أمكنني منك! قال: لا تقل ذلك يا معاوية، فإنها مصيبة! قال: وأي نعمة أعظم من أن أمكنني الله من رجل قتل جماعة من أصحابي في ساعة واحدة؟ اضرب عنقه يا غلام! فقال الأسير: اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك، ولا لأنك ترضى بقتلي: وإنما يقتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا؛ فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله. قال له: ويحك! لقد سببت فأبلغت، ودعوت فأحسنت؛ خليا عنه"(٢).

ب ــ التوظيف السلبي لأمثلة من العصر الأموي.

وحين أتى إلى العصر الأموي ساق كثير من الأمثلة التي تخدم هدفه الذي ينصب على أظهار الأمويين بمظهر الحسن، وإظهار العراقيين بمظهر المشاكس والخارج عن الملة و(الحكم الشرعي يقصد الحكم الأموي) ، ويمكن إجمال تلك الصورة بالشكل الأتي:

١ــ العمل على شرعنة الحكم الأموي:

سعى ابن عبد ربه جاهدا في انتقاء أمثلة تأريخية – بغض النظر عن مصداقيتها– كان هدفه منها القول بشرعية الحكم الأموي، وأن أي معارضة له تعد باطلة ومن ذلك: حين يأتي إلى قضية الإمام الحسن مع معاوية يعرضها بالشكل الآتي: " ثم اجتمع الحسن بن علي ومعاوية بمسكن من أرض السواد من ناحية الأنبار، واصطلحا، وسلم الحسن الأمر إلى معاوية، وذلك في شهر جمادي الأولى سنة إحدى وأربعين، ويسمى عام الجماعة"(٣)، لكن ما جرى بين الإمام

(١) المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٧.
(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص٤٦.
(٣)ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٠٩.

الحسن ومعاوية غير ذلك، لأن الإمام الحسن لم يُسلمَ الحكم لمعاوية بوصف معاوية أهلا له، ولم يتفق جميع المسلمين على شرعية الحكم الأموي، بل هناك معارضة لتولي معاوية للحكم قادها حجر بن عدي وجماعته[١]، لكن في حقيقة الأمر أن ما قام به الامام الحسن مع معاوية هو هُدنة جاء عقدها تحت ظروف قاهرة فضّل فيها الإمام الحسن مصلحة الإسلام والمسلمين على غيرها من المصالح الأخرى[٢].ولن يتخلى ابن عبد ربه عن دعمه الإعلامي للأمويين مقابل شرعنة حكمهم وعد العراقيين في رفضهم لحكم الأمويين خارجين عن الملة ، بل وصل به الحد إلى أن يسوق رواية تتضمن حديثاً نبوياً – بغض النظر عن صحة الرواية – يجعل فيها من الإمام الحسين ومن ثار معه من العراقين خارجين على الحكم الأموي(الشرعي) حسب رأيه وأن الأمام الحسين حين خرج كان قد تحدى إرادة الله تلك الإرادة التي اقتضت حرمان أهل بيت الرسول من الحكم كما هو مبين في الحديث المضمن في الرواية التي ساقها ، وأن الإمام الحسين كان على علم بذلك الحديث ، لكن على الرغم من علمه بذلك خرج مطالباً بالحكم ؛ أذن حسب رأي ابن عبد ربه ومن نقل الرواية أن الإمام الحسين خرج على الإرادة الإلهية فضّلاً عن خروجه على الحكم الأموي (الشرعي)؛ لأنه من غير المقبول أن الرسول الأكرم (ص) لم يُخبره بهذا المطلب الرباني والرواية هي : " يحيى بن إسماعيل عن الشعبي أن سالما قال: قيل لأبي عبد الله بن عمر: إن الحسين توجه إلى العراق، فلحقه على ثلاث مراحل[٣] من المدينة– وكان غائبا عند خروجه– فقال: أين تريد؟ فقال: أريد العراق. وأخرج إليه كتب القوم، ثم قال: هذه بيعتهم وكتبهم. فناشده الله أن يرجع، فأبى، فقال: أحدثك بحديث ما حدثت به أحدا قبلك: إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنكم بضعة

(١) الطبري ، تأريخ الطبري ، ج٥ ، ص ٢٥٣.
(٢) للتفاصيل ينظر: عبد القادر احمد اليوسف ، الحسن بن علي (عام الجماعة)، (بغداد: مطبعة الهلال، ١٩٤٨).(وهو دراسة وافية عالج فيها الأسباب التي دعت الامام الحسن لعقد الهدنة مع معاوية).
(٣) المرحلة هي: مقياس مسافة يعادل مسيرة يوم واحد ، وتساوي بريدين أي ما يعادل ثمانية فراسخ أوما يعادل اربع وعشرين ميلاً والتي تساوي ٤٤٣٥٢ متراً ، الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي ، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك ، ج ١، ص٢٠ ؛ رينهارت بيتر آن دُوزِي ، تكملة المعاجم العربية ، ط١،(الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام ، ٢٠٠٠ م)ج ١٠،ص ٢٣٥ ؛ محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي ، معجم لغة الفقهاء ،ط٢ (دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨ م)ج١، ص ٤٢١.

منه، فو الله لا يليها أحد من أهل بيته أبدا؛ وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم؛ فارجع، فأنت تعرف غدر أهل العراق وما كان يلقي أبوك منهم. فأبى، فاعتنقه وقال: استودعتك الله من قتيل"[١]. وبعد تتبع الحديث في الكتب التي تعنى بالحديث النبوي ظهر أن ابن عبد ربه والراوي الذي أخذ عنه تلاعبا في الحديث لأنه لم يرد بتلك الصيغة التي قصدها ابن عبد ربه ومن أخذ عنه وانما ورد بالشكل الاتي : " حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة، وكان في شكواه الذي قبض فيه، أخذته بحة شديدة، فسمعته يقول: {مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين} [النساء: ٦٩] فعلمت أنه خير" [٢]المقصود بذلك أن الله سبحانه وتعالى خيَر الرسول الأكرم (ص) وهو على فراش الموت بين البقاء في الحياة الدنيا أو الموت للألتحاق بالأنبياء والصديقين في الجنة الخالدة[٣].

٢ــ إظهار الخلفاء الأمويين بالحكام الكفؤين والمتدينين العادلين والمتسامحين ويقبلون بالرأي الآخر.

ومن الأمثلة على ذلك: الإشادة بمعاوية وأعوانه، فقد ذكر: " وقالوا: الدهاة أربعة: معاوية للروية، وعمرو بن العاص للبديهة، والمغيرة للمعضلات، وزياد لكل صغيرة وكبيرة"[٤]، في حين لو أستعرضنا التأريخ الإسلامي سنجد هناك أمثلة كثيرة من غير الأمويين يتمتعون بصفات تفوق ما ذكره عن معاوية وأعوانه لا يتسع المجال لذكرها، ومع ذلك هذه ليست حقيقة معاوية وأعوانه، وإنما المعروف عن معاوية وأعوانه أنهم دهاة ودهائهم سلبي يهدف للمصالح الخاصة لا العامة[٥]، وفي مثال آخر يظهر معاوية أنه إنسان لا يصر على الخطأ، وأنه يُقر بخطأه حين

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ١٣٣.
(٢) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١(بلا مكان طبع: دار طوق النجاة ،١٤٢٢) ،ج٦ ، ص٤٦.
(٣) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، شرح صحيح البخاري لابن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، ط٢(الرياض : مكتبة الرشد، ٢٠٠٣) ، ج٧، ص٨٥.
(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص٢٦٩.
(٥) للوقوف على حقيقة معاوية ينظر: عباس محمود العقاد ، معاوية بن أبي سفيان، ط٦(القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦).

يعرف أنه على خطأ مثال:" قال معاوية ليونس الثقفي: اتق الله؛ لأطيرنك طيرة بطيئا وقوعها، قال: أليس بي وبك المرجع إلى الله؟ قال: نعم. قال: فأستغفر الله."[١]، ومرة أخرى يُظهره بأنه يقبل بالرأي الآخر ويحترمه، ولا يفرض رأيه على الأخرين، وأن كان الرأي الآخر بخلاف ما يرغب ويحب، فيسوق رواية في هذا الشأن جاء فيها: "قال معاوية لصعصعة بن صوحان: اصعد المنبر فالعن عليا. فامتنع من ذلك وقال: أو تعفيني؟ قال: لا. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس، إن معاوية أمرني أن ألعن عليا، فالعنوه لعنه الله"[٢]، وفي الرواية ظهر معاوية أنه لم يفعل شيئاً لصعصعة ؛ لأن من طبيعته ــ حسب رأي ابن عبد ربه ــ أنه لا يُصادر رأي الآخرين، وفي عرض آخر يُظهر معاوية بالرؤوف الرحيم من رواية على لسان زياد بن أبيه جاء فيها : "ما غلبني أمير المؤمنين معاوية إلا في واحدة: طلبت رجلا فلجأ إليه وتحرم به، فكتب إليه: إن هذا فساد لعملي: إذا طلبت أحدا لجا إليك فتحرم بك، فكتب إلي: إنه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة، فيكون مقامنا مقام رجل واحد؛ ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة، فيستريح الناس فيما بيننا"[٣]. وفي أحد الأمثلة التي يسوقها عن العصر الأموي أظهر ابن عبد ربه فيها الحجاج أنه إنسان رحيم يعفو عند المقدرة، كما عفا عن أسرى من الخوارج على الرغم من أنهم من الد أعداء الدولة الأموية [٤]، في حين كان الحجاج في حقيقته المعروفة حاكما ظالما، ومن شدة ظلمه للعراقيين انهم فرحوا حتى بموت ابنه وقالوا: " انقطع ظهر الحجاج وهيض [٥] جناحه" [٦]، وظلمه تشهد عليه ضحاياه التي قيل إنها وصلت إلى مائة وعشرين ألفا[٧]. وفي مثال آخر عن الحجاج أدعى فيه إنه رجلٌ ملتزم دينياً، فيذكر له خطبة تؤشر ادعائه جاء فيها:" اللهم أرني الغي غيا فأجتنبه، وأرني الهدى هدى فأتبعه، ولا تكلني إلى نفسي فاضل ضلالا بعيدا! والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لي

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢ ، ص٤٨.
(٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٩٨.
(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص٢٧٢.
(٤) ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢، ص٤٧، ٤٨.
(٥) الهَيْض أَن ينكسر العظمُ ثمَّ يجْبر فَلَا يَسْتَوِي فيُكسر بعد جبر، هاض العظم: كسره بعد الجبور، ، محمد بن مكرم لسان العرب أبن منظور ، ط٣(بيروت : دار صادر، ١٤١٤) ،ج٧، ص ٢٤٩.
(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص٣٠٦.
(٧) المصدر نفسه والجزء، ص٣٠٩.

بعمامتي هذه، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء"[١]، ومرة أخرى وفي رواية ينتقيها يُظهر الحجاج فيها بمظهر المتدين في وقت إنه عديم الرحمة، ولا يُعير أي أهمية للتفاصيل الفقهية[٢]، فذكر فيها أن الحجاج صعد المنبر وقال: "امرؤ حاسب نفسه؛ امرؤ راقب ربه؛ امرؤ زور [٣]عمله امرؤ فكر فيما يقرؤه غدا في صحيفته ويراه في ميزانه: امرؤ كان عند همه آمرا، آمرا، وعند هواه زاجرا؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام [٤] جمله، فإن قاده إلى حق تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفه. إننا والله ما خلقنا للفناء، وإنما خلقنا للبقاء، وإنما ننتقل من دار إلى دار"[٥]. ومن الأمثلة التي تدخل ضمن هذا السياق أيضا ذكره قول منسوب لعمر بن بن عبد العزيز جاء فيه : سعى[أي زيادٍ] لأهل العراق سعى الأم البرة، وجمع لهم جمع الذرة"[٦]، الذرة"[٦]، هناك يظهر زياد حريصا على أهل العراق هذا أمر والأمر الآخر عرف كيف يسوق الشاهد فأتى به على لسان عمر بن عبد العزيز، لأن له مقبولية في المجتمع الإسلامي فكلامه لا يُثير تحفظات وشكوك، في حين زياد كان من الولاة الذين عانى منهم العراقيون الويل وهو أمر معروف لا يحتاج إلى دليل.

٣ــ إظهار الأمويين بحبهم لأهل البيت وبقية بني هاشم.

ومن ذلك إنه أظهر معاوية محباً للحسن بن علي، ويعامله على إنه من القرابة ، ولا يرضى أن يُساء له ، وأنه على وفاقاً تاماً معه ، فهو يوبخ زياداً لسوء أسلوبه في إحدى مخاطباته للإمام الحسن، كما في الرواية التي ساقها والتي جاء فيها : "وكتب الحسن بن علي رضي الله عنه إلى زياد في رجل من أهل شيعته قد عرض له زياد وحال بينه وبين جميع ما يملكه، وكان عنوان

(١) ينظر ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٠٤.
(٢) محمد عبد الحي شعبان ، صدر الإسلام والدولة الأموية ، (بيروت: دار الأهلية للنشر والتوزيع،١٩٨٣) ص ١٢٣.
(٣) زوّر عمله : المقصود هنا عدل عنه وحسنه . ابن منظور، لسان العرب ، ج٤، ص ٣٣٥ .
(٤) خِطامٍ جمله: يعني الحبل الذي يجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ثم يقلد البعير ثم يثنى على مخطمه، وأما الذي يجعل في الأنف دقيقا فهو الزمام، والخطام معمول من ليف أو شعر أو كتان، ابن منظور، لسان العرب ، ج١٢، ص ١٨٦.
(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٠٦.
(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص٢٦٩.

كتابه: من الحسن بن علي إلى زياد ؛ فغضب زياد إذ قدم نفسه عليه ولم ينسبه إلى أبي سفيان، وكتب إليه: من زياد بن أبي سفيان إلى حسن: أما بعد، فإنك كتبت إلي في فاسق لا يؤويه إلا الفساق، وايم الله لأطلبنه ولو بين جلدك ولحمك، فإن أحب لحم إلي أن آكله لحم أنت منه. فكتب الحسن إلى معاوية يشتكي زيادا، وأدرج كتاب زياد في داخل كتابه. فلما قرأه معاوية أكثر التعجب من زياد، وكتب إليه.أما بعد، فإن لك رأيين: أحدهما من أبي سفيان، والآخر من سمية؛ فأما الذي من أبي سفيان فحزم وعزم، وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها؛ وإن الحسن ابن علي كتب إلي يذكر أنك عرضت لرجل من أصحابه، وقد حجزناه عنك ونظراءه، فليس لك على واحد منهم سبيل ولا عليه حكم؛ وعجبت منك حين كتبت إلى الحسن لا تنسبه إلى أبيه، أفإلى أمه وكلته لا أم لك؟ فهو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١] كما هو معروف أن معاوية لم يكن محباً للحسن بن علي مطلقا، لأنه هو الذي قتله بالسمِ عن طريق زوجته [٢]، كما أنه خصمٌ لدود لبني هاشم[٣]. ومرة أخرى يُظهر معاوية أنه على وفاق مع بني هاشم جميعاً، وأنه ينظر لهم على أنهم قرابة، فهو لا يرضى عن زياد بن أبيه حين يشكو له عبد الله بن عباس كما هو واضح من رواية ينقلها جاء فيها: " وكتب زياد إلى معاوية: إن عبد الله بن عباس يفسد الناس علي، فإن أذنت لي أن أتوعده فعلت. فكتب إليه: إن أبا الفضل وأبا سفيان كانا في الجاهلية في مسلاخ [٤] واحد، وذلك حلف لا يحله سوء رأيك"[٥]. والتلاعب بالصورة عند ابن عبد ربه بغية إخراج الأمويين بمظهر المحب لأهل البيت والمتألمين على مقتل الحسين بن علي ذكره لرواية ينسبها لعبد الملك بن مروان، وفيه يستذكر مقتل الحسين ويذكر فيها أن الأرض يوم قتل الحسين تألمت لمقتله، ليُبين شدة حزن عبد الملك على مقتل الحسين ليبرئ الأمويين من مقتله، ومقتل من لقى حتفه من آل بيت علي يد الأمويين عموماً ، وفي هذا الشأن يروي عن الزهري أنه قال: "خرجت مع قتيبة أريد المصيصة ، فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وإذا هو قاعد في إيوان له، وإذا سماطان من الناس على باب الإيوان فإذا

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص٢٧٣.
(٢) ينظر: عبد القادر احمد اليوسف ، الحسن بن علي (عام الجماعة)، ص ١٣٣-١٤٣.
(٣) عن هذا الموضوع ينظر: تقي الدين المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، تحقيق: حسين مؤنس ، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨) .
(٤) المِسْلاخُ : يقصد به هنا الجلد . ابن منظور، لسان العرب ، ج ٣، ص ٢٥.
(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص٢٧٣.

أراد حاجة قالها للذي يليه، حتى تبلغ المسألة باب الإيوان، ولا يمشي أحد بين السماطين؛ قال الزهري: فجئنا فقمنا على باب الإيوان؛ فقال عبد الملك للذي عن يمينه: هل بلغكم أي شيء أصبح في بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن علي؟ قال: فسأل كل واحد منهما صاحبه حتى بلغت المسألة الباب، فلم يرد أحد فيها شيئا. قال الزهري: فقلت: عندي في هذا علم. قال: فرجعت المسألة رجلا عن رجل حتى انتهت إلى عبد الملك. قال: فدعيت، فمشيت بين السماطين، فلما انتهيت إلى عبد الملك سلمت عليه: فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، قال: فعرفني بالنسب، وكان عبد الملك طلابه للحديث، فعرفته، فقال: ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي بن أبي طالب؟ وفي رواية علي بن عبد العزيز عن إبراهيم بن عبد الله عن أبي معشر عن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص عن الزهري، أنه قال: الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن علي؟ – قال الزهري: نعم، حدثني فلان– لم يسمه لنا– أنه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قتل الحسين بن علي بن أبي طالب، حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط. قال عبد الملك: صدقت، حدثني الذي حدثك، وإني وإياك في هذا الحديث لغريبان. ثم قال لي: ما جاء بك؟ قلت: جئت مرابطا. قال: الزم الباب. فأقمت عنده، فأعطاني مالا كثيرا"[١]. مما يؤيد تلاعب ابن عبد ربه بالصورة الحقيقة هو عدم دقة مثاله هذا ؛ لأن الزهري (٥١ – ١٢٤هـ) الذي روى ذلك كان عمره بداية حكم عبد الملك بن مروان أربعة عشر عاما ، فهل صار الزهري مؤرخا لامعا بهذا العمر ؟ وإضافة إلى صغر سنه ، فان الزهري لم يكن معروفا عند أهل الشام زمن عبد الملك بن مروان أصلا[٢].

٤ـ تبرئة الأمويين وأعوانهم من دماء أهل البيت.

عمل ابن عبد ربه على تحميل العراقيين مسؤولية مقتل الحسين وتبرئة ساحة يزيد منه ، مثلاً يسوق رواية تُبين عدم معرفة يزيد بمقدم الحسين أصلاً، ويدعي فيها أنه لم يكن مسؤولاً عن مقتله، لدرجة إن دمعت عين يزيد حين سمع بمقتله، ولعن يزيد بن معاوية ابن زياد على ما جرى للحسين وأصحابه، وجاء ذلك في الرواية الاتية: "روح بن زنباع عن أبيه عن الغاز بن

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥، ١٣٤-١٣٥.
(٢) ينظر: عبد الأمير عبد حسين دكسن، الخلافة الأموية ٦٥هـ - ٨٦هـ دراسة سياسية ، ط١(بيروت: دار النهضة العربية،١٩٧٣) ص ٤٠.

ربيعة الجرشي قال: إني لعند يزيد بن معاوية إذ أقبل زحر بن قيس الجعفي حتى وقف بين يدي يزيد، فقال: ما وراءك يا زحر ؟فقال: أبشرك يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، قدم علينا الحسين في سبعة عشر رجلا من أهل بيته، وستين رجلا من شيعته، فبرزنا إليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير أو القتال، فأبوا إلا القتال، فغدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطناهم من كل ناحية، حتى أخذت السيوف مأخذها من هام الرجال فجعلوا يلوذون منا بالآكام والحفر كما يلوذ الحمام من الصقر، فلم يكن إلا نحر جزور أو قوم قائم، حتى أتينا على آخرهم: فهاتيك أجسامهم مجزرة ، وهامهم مرملة ، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح بقاع سبسب، زوارهم العقبان والرخم ! قال: فدمعت عينا يزيد، وقال: لقد كنت أقنع من طاعتكم بدون قتل الحسين. لعن الله ابن سمية! أما والله لو كنت صاحبه لتركته، رحم الله أبا عبد الله وغفر له"[١]. وفي المسار نفسه لتحسين صورة يزيد وأنه كان غير راضٍ بما حل بالحسين بن علي في أرض كربلاء ، يذكر أنه أحسن إلى سبايا الحسين إذ أمر بأن " خلوا عنهم واضربوا عليهم القباب وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج إليهم جوائز كثيرة، وقال: لو كان بين ابن مرجانة وبينهم نسب ما قتلهم: ثم ردهم إلى المدينة"[٢]، وعن عدم معرفة يزيد بمقدم ومقتل الحسين ذكر ابن عبد ربه قول يزيد نفسه لأحد الأسرى من آل الحسين :" ما علمت بخروج أبي عبد الله ولا بقتله"[٣]. أن قضية تبرئة ساحة يزيد وعدم تحميله مسؤولية قتل الحسين أمرٌ مفروغ منه عند ابن عبد ربه، فها هو يعرض دخول سبايا الحسين وهن يدخلن على يزيد ويتعاملن معه كأبن عم لا عدواً ولا قاتل، وأن مقتل الحسين لم يكن فاجعة على أهل بيته فحسب، بل كان فاجعة على يزيد وأهل بيت يزيد أيضا إذ يذكر: " فلما أدخلن على يزيد، قالت فاطمة ابنة الحسين: يا يزيد، أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، ادخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلن، قالت فاطمة: فدخلت إليهن، فما وجدت فيهن سفيانية إلا متلدمة تبكي"[٤] وحتى ــ في أحد الأمثلة ــ وصل به الأمر إلى أن يبرأ ساحة عبيد الله بن زياد، ويُظهره بمنظر عدم الرضى على مقتل الحسين كما جاء في الرواية التي تقول :" وقتل [

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ١٣٠.
(٢) المصدر نفسه والجزء ، ١٣١.
(٣) المصدر نفسه والجزء ، ١٣٢.
(٤) المصدر نفسه الجزء ، والصحفة .

أي الامام الحسين]وهو ابن ست وخمسين سنة، وهو صابغ بالسواد، قتله سنان بن أبي أنس، وأجهز عليه خولة بن يزيد الأصبحي من حمير، وحز رأسه وأتى به عبيد الله وهو يقول:

أوقر ركابي فضة وذهبا ... أنا قتلت الملك المحجبا خير عباد الله أما وأبا

فقال له عبيد الله بن زياد: إذا كان خير الناس أما وأبا وخير عباد الله، فلم قتلته؟ قدموه فاضربوا عنقه! فضربت عنقه"(١)، وحتى لا يثير الشبهات على نهجه في تحسين الصورة الأموية، ويحمل العراقيين مقتل الامام الحسين، نجده ينقل رواية يقول فيها حتى رأس الجالوت(٢)، لم يرض عن مقتل الحسين على يد العراقيين: "إن بيني وبين داود سبعين أبا، وإن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا حفظي؛ وإنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم ابنه!"(٣) ، وفي سبيل الدفاع عن الأمويين وتبرئتهم عن دماء أهل البيت ينقل قول لعبد الملك بن مروان يقول فيه للحجاج: " جنبني دماء أهل هذا البيت"(٤)، ويعاود ابن عبد ربه في حملته ضد العراقيين حين ينقل رواية منسوبة إلى سُكينة بنت الحسين سبق أن مر ذكرها ولابأس بتكرارها للفائدة والتي فيها تغضب على العراقيين مُبرءاً فيها السلطة الأموية من مقتل زوجها مصعب وجدها علي ابن أبي طالب وأبيها الحسين بن علي وعمها الحسن جاء فيها :" ولما قتل مصعب خرجت سكينة بنت الحسين تريد المدينة، فأطاف بها أهل العراق، وقالوا: أحسن الله صحابتك يا أبنة رسول الله! فقالت: لا جزاكم الله عني خيرا، ولا أخلف عليكم بخير من أهل بلد! قتلتم أبي وجدي وعمي وزوجي! أيتمتموني صغيرة، وأرملتموني كبيرة!" (٥)، وكعادته في تجريم أهل العراق نجده يصل به الأمر يعرض عبد الملك بصورة عدم الرضا حتى على قتل مصعب

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص١٣٠.
(٢) رأس الجالوت: هو رئيسهم والجالوت :هم الجالية أعني الذين جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس ويكون رأس الجالوت من ولد داود عليه السلام وتزعم عامتهم أنه لا يرأس حتى يكون طويل الباع تبلغ أنامل يديه ركبتيه إذا مدهما. محمد بن أحمد بن يوسف ، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط٢ (بلا مكان طبع ، دار الكتاب العربي ، د . ت) ص ٥٣.
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج٥ ، ١٣٢.
(٤) المصدر نفسه والجزء ، ص١٣٤.
(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥، ص١٦٠.

بن الزبير، في حين هو المسؤول الأول عن مقتله فيروى أنه :" لما أتي عبد الملك برأس مصعب بن الزبير، نظر إليه مليا. ثم قال: متى تلد قريش مثلك! وقال: هذا سيد شباب قريش. وقيل لعبد الملك: أكان مصعب يشرب الطلاء[١]؟ فقال: لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته لما شربه!" [٢]، ونسى ابن عبد ربه أن عبد الملك قاتل قريبة عمرو بن سيعد الاشدق (ت٦٩هـ) ومن دون رحمة [٣]، ويستمر ابن عبد ربه في تشويه صورة العراقيين وتبرأة ساحة عبد الملك بن مروان من مقتل مصعب بن الزبير، فيذكر ردة فعل عبد الله بن الزبير حين وصله خبر مقتل أخيه مصعب والتي عبر عنها بقوله : " أسلمه الطغام الصم الآذان، أهل العراق، وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه"[٤].

نُلحظ في الأمثلة أعلاه دور الإعلام الأموي في قلب الصورة، حتى وصل به الأمر ليس تبرئة يزيد من دماء الحسين بن علي فحسب، بل حتى أظهر عبيد الله بن زياد أنه لم يكن راضياً على مقتل الحسين ، لكن كل تلك الأمثلة هي مزاعم وتهم من صنع الإعلام الأموي الذي كان يمثله ابن عبد ربه ومن نقل عنهم، ناهيك عن تلاعبه بالروايات، بغية تحسين صورة الأمويين وتشويه صورة العراقيين ، لكن لو كان الأمويون حريصون على حياة الحسين، وأهل بيته لما سمحوا لأحد التقرب منه ، لا سيما وأن الامام الحسين لم يكن طالب حرب، وإنما طالب إصلاح. وأن بدرت حالات شاذة من بعض العراقيين أثناء الحكم الأموي، فهي بسبب القبضة الحديدية التي أستعملها الأمويون ضدهم، والأساليب القاسية في التعامل مع المعارضة سواء أكانت الجسدية منها ام النفسية، لكن أنجع رد على تلك المزاعم والتسويغ الأموي للإساءة للعراقيين، لا سيما في قضية الامام الحسين هو الثورات التي فجرها العراقيون ضد الحكم الأموي التي كانت تعبيراً واضحاً عن رفضهم لذلك الحكم وثأراً لدماء الحسين بن علي كثورة التوابين، وثورة المختار، وثورة زيد بن علي كما سنوضحه لاحقا.

---

(١) الطِّلاءُ: ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وتسميه العجم الميبختج، وبعض العرب يسمي الخمر الطلاء ؛ يريد بذلك تحسين اسمها. ابن منظور ، لسان العرب، ج ١٥، ص ١١.

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥، ص١٥٩.

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري،ج٦، ص ١٤٦-١٤٧؛ أ بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٥٦؛ إبراهيم زعرور وعلي احمد، تأريخ العصر الأموي السياسي والحضاري،(دمشق: منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٦) ص٥١-٥٢.

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥، ص١٦٠.

٥ــ تشويه صورة العراقيين.

ومن الإشاعات التي سوغها الإعلام الأموي ضد العراقيين، هو أنهم مزاجي الطباع لا يرغبون باي حاكم إلا على وفق هواهم ، ومهما يترتب على خيارهم من نتائج، وهذا ما ساقه في الرواية التي تحكي وصية معاوية لأبنه يزيد بشأن العراقيين والتي جاء فيها:" ... وانظر أهل العراق، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سل مائة ألف سيف، ثم لا ندري علام أنت عليه منهم..."(١)، الهدف من هذه الرواية هو التقليل من شأنهم واظهارهم بمظهر الخارج عن السلطة الشرعية (سلطة الأمويين)، لكن في الحقيقة أن الرفض المتكرر للأمراء الأمويين ليس عائداً إلى مزاج العراقيين وهواهم، وإنما يعود إلى ظلم أولئك الأمراء وأستبدادهم ، لكن ذلك الرفض المتكرر سوغ ضد العراقيين بأنهم غير مستقري الراي ومزاجي الطباع. وفي رواية أخرى سوغها ابن عبد ربه ضد العراقيين بأنهم غدارين لا يحترمون الوعود، وهذا ما ادعاه في وصية آخرى لمعاوية يوصي يزيد فيها: " ... ولست أخاف عليك غير عبد لله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي؛ فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع، وأما الحسين فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه خب ضب، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا"(٢)، غير أن القراءة الحقيقية لوصية معاوية هو أنه يخاف على أبنه يزيد من العراقيين بسبب رعونته، ولكونه غير أهل للحكم حسب ما روت عنه المصنفات التأريخية(٣)، ولكون العراقيون يرفضون الإستبداد الأموي وحكمهم فجاءت وصيته مبطنة تسيء للعراقيين، وتظهر يزيد بمظهر الحسن والحاكم العادل غير المستبد ولا جلاد، ويستمر الإعلام الأموي عبر ابن عبد ربه من بعد معاوية في تشويه صورة العراقيين وتحسين الصورة الأموية فنجده يتلاعب بقضية الحسين بن علي سبط رسول الله ، اذ نجد ذلك الإعلام يصور العراقيين أيضا أنهم ناس غدارون لا يفون بالوعود وهم المسؤولون عن مقتل الحسين لا

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص١٧٥.

(٢) المصدر نفسه الجزء والصفحة .

(٣) عن سوء سيرة يزيد ينظر: لوط بن يحيى ، مقتل الحسين ، تحقيق : حسين الغفاري، (قم:المطبعة العلمية ، د . ت) ؛ أنيس زكريا النصولي ، الدولة الأموية في الشام،(القاهرة مؤسسة هنداوي،٢٠١٢)ص ٢٩-٥١؛ عباس محمود العقاد ، الحسين أبو الشهداء، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢) ص ٩-٥١.

يزيد، فحين همَّ الحسين بالتوجه إلى العراق مر على عبد الله بن مطيع ونزل عنده فقال للحسين: " يا أبا عبد الله، لا سقانا الله بعدك ماء طيبا، أين تريد؟ قال: العراق! قال: سبحان الله! لم؟ قال: مات معاوية، وجاءني أكثر من حمل صحف. قال لا تفعل أبا عبد الله، فو الله ما حفظوا أباك وكان خيرا منك، فكيف يحفظونك؟ ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلا استحلت!" (١)، وحين يسترسل بقضية الإمام الحسين يدعي خداع العراقيين للحسين، وأنهم تخلوا عن مبعوثه وابن عمه مسلم بن عقيل وخذلوه وتعاونوا على قتله، وجعلوه في حالة يتوسل بمن يوصل رسالة إلى الحسين بن علي بالرجوع من حيث أتى، لكي يجعل خروج الامام الحسين ضد السلطة الأموية باطلاً، كما يُظهره بمظهر النادم على الخروج من خلال ما نقله من رواية تدعي توسل الإمام الحسين بعمر بن سعد وأنه طلب منه ثلاثة أمور إحداها كان مبايعة يزيد وكل ذلك مجتمعا يصور أن دعوة العراقيين للإمام الحسين وخروجه ضد السلطة الأموية ومساندة العراقيين له كانت باطلة، وكل ذلك نلتمسه من الرواية التي ساقها والتي جاء فيها :"...وقد كان بعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم، وكان على الكوفة حين مات معاوية، فقال: يأهل الكوفة، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من ابن بنت بحدل[يقصد يزيد بن معاوية امه أمها ميسون بنت بجدل].قال: فبلغ ذلك يزيد؛ فقال: يأهل الشام، أشيروا علي، من أستعمل على الكوفة؟ فقالوا: ترضى من رضي به معاوية؟ قال: نعم. قيل له: فإن الصك بإمارة عبيد الله بن زياد على العراقين قد كتب في الديوان. فاستعمله على الكوفة، فقدمها قبل أن يقدم حسين. وبايع مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفا من أهل الكوفة، وخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد، فجعلوا كلما انتهوا إلى زقاق انسل منهم ناس، حتى بقي في شرذمة قليلة. قال: فجعل الناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت؛ فلما رأى ذلك دخل دار هانيء بن عروة المرادي، وكان له شرف ورأي؛ فقال له هانيء: إن لي من ابن زياد مكانا، وإني سوف أتمارض، فإذا جاء يعودني فاضرب عنقه. قال: فبلغ ابن زياد أن هانيء بن عروة مريض يقيء الدم، وكان شرب المغرة فجعل يقيئها، فجاء ابن زياد يعوده وقال هانيء: إذا قلت لكم اسقوني، فاخرج إليه فاضرب عنقه- يقولها لمسلم بن عقيل- فلما دخل ابن زياد وجلس، قال هانيء: اسقوني! فتثبطوا عليه، فقال: ويحكم! اسقوني ولو كان فيه نفسي! قال: فخرج ابن زياد ولم يصنع الآخر شيئا. قال: وكان أشجع الناس ولكن أخذ بقلبه.وقيل لابن زياد ما أراده هانيء،

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٢٥.

فأرسل إليه، فقال: إني شاك لا أستطيع. فقال: ائتوني به وإن كا شاكيا. فأسرجت له دابة فركب ومعه عصا. وكان أعرج، فجعل يسير قليلا قليلا، ثم يقف ويقول: ما أذهب إلى ابن زياد، حتى دخل على ابن زياد فقال له: يا هانيء، أما كانت يد زياد عندك بيضاء؟ قال بلى: قال: ويدي؟ قال: بلى. ثم قال له هانيء: قد كانت له عندي ولأبيك وقد آمنتك في نفسك ومالك.قال: اخرج. فخرج، فتناول العصا من يده وضرب بها وجهه حتى كسرها، ثم قدمه فضرب عنقه.وأرسل إلى مسلم بن عقيل، فخرج إليهم بسيفه؛ فما زال يقاتلهم حتى أثخنوه بالجراح، فأسروه.وأتي به ابن زياد فقدمه ليضرب عنقه. فقال له: دعني حتى أوصي. فقال له:أوص. فنظر في وجوه الناس، فقال لعمر بن سعد: ما أرى قريشا هنا غيرك فادن مني حتى أكلمك. فدنا منه، فقال له هل لك أن تكون سيد قريش ما كانت قريش؟ إن حسينا ومن معه– وهم تسعون إنسانا ما بين رجل وامرأة– في الطريق؛فارددهم واكتب لهم بما أصابني. ثم ضرب عنفه، فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ قال اكتم على ابن عمك! قال: هو أعظم من ذلك قال: وما هو؟ قال: قال لي: إن حسينا أقبل [ومن معه] وهم تسعون إنسانا ما بين رجل وامرأة؛ فارددهم واكتب إليه بما أصابني.فقال له ابن زياد: أما والله– إذ دللت عليه– لا يقاتله أحد غيرك! قال: فبعث معه جيشا وقد جاء حسينا الخبر وهم بشراف[1]، فهم بأن يرجع ومعه خمسة من بني عقيل، فقالوا: ترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما تثق به؟ فقال الحسين لبعض أصحابه: والله مالي على هؤلاء من صبر.قال: فلقيه الجيش على خيولهم وقد نزلوا بكربلاء؛ فقال حسين: أي أرض هذه؟ قالوا: كربلاء. قال: أرض كرب وبلاء!.وأحاطت بهم الخيل، فقال الحسين لعمر بن سعد: يا عمر، اختر مني إحدى ثلاث خصال: إما أن تتركني أرجع كما جئت، وإما أن تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده، وإما أن تسيرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت!فأرسل إلى ابن زياد بذلك، فهم أن يسيره إلى يزيد، فقال له شمر بن ذي الجوشن: أمكنك الله من عدوك فتسيره! لا، إلا أن ينزل على حكمك فأرسل إليه بذلك؛ فقال الحسين: أنا أنزل على حكم ابن مرجانة؟ والله لا أفعل ذلك أبدا! قال: وأبطأ عمر عن قتاله، فأرسل ابن زياد إلى شمر بن ذي الجوشن، وقال له:إن تقدم عمر وقاتل، وإلا فاتركه وكن مكانه.قال: وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلا من أهل الكوفة؛ فقالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال، فلا تقبلوا منها

(١) شراف : مدينة بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء ومن شراف إلى واقصة ميلان ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣، ص ٣٣١.

شيئا؟ فتحولوا مع الحسين فقاتلوا [معه] "[١]. ولم ينفك في تقديم روايات أخرى منتقاة قوامها التقليل من الرفض العراقي للحكم الأموي، وتسطيحه، وإخفائه وإظهارهم بمنظر الغدرة ، فيسوق رواية عن الفرزدق جاء فيها: " وقال الفرزدق: خرجت أريد مكة، فإذا بقباب مضروبة وفساطيط، فقلت: لمن هذه؟ قالوا: للحسين. فعدلت إليه فسلمت عليه، فقال: من أين أقبلت؟ قلت: من العراق. قال كيف تركت الناس؟ قلت: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر من السماء!" [٢]. ويستمر في تشويه صورة العراقيين ويعرضهم بأنهم غدارون وانتهازيون، فيروي أنهم تركوا مصعب بن الزبير والتفوا حول عبد الملك حين يذكر :" فحولوا وجوههم وصاروا إلى عبد الملك؛ وبقي مصعب في شرذمة قليلة"[٣]،وفي موضع تشويه صورة العراقيين وتحسين صورة السلطة الأموية يذكر خطبة زياد البتراء التي يقول فيها : " قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن أبي سفيان وضم إليه خراسان وسجستان؛ والفسق بالبصرة ظاهر فاش"[٤] هنا وضع الخلل بالعراقيين وحتى لا ينزع الصورة الإسلامية عن زياد ذكر أنه " خطب خطبة بتراء، لم يحمد الله فيها؛ وقال غيره بل قال: الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه. اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا." [٥] هنا لم يجزم أن زياد لم يحمد الله في خطبته، كما هو معتاد في الخطب البتراء خُلوها من البسملة، بغية أن لا ينزع أحترام زياد للإسلام. ثم يستمر في عرض خطبة زياد والتي فيها أظهر أهل البصرة من العراقيين أنهم خارجين عن السلطة، وأن من حق زياد أن يستعمل الشدة ضدهم ومن حقه أن يقول بحقهم " أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والعمى الموفي بأهله على النار، ما فيه سفاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير؛ كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا بما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب العظيم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من تركتكم

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٢٥- ١٢٨.
(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٣٣.
(٣) المصدر نفسه والجزء ، ص١٥٨.
(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٠٠.
(٥) المصدر نفسه الجزء ، والصحفة .

هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعدد غير قليل. ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار؟ قربتم القرابة، وباعدتم الدين؛ تعتذرون بغير العذر؛ وتغضون على المختلس؛ كل امريء منكم يذب عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا؛ ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم، كنوسا في مكانس الريب؛ حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا.إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله،: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح بالسقيم؛ حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد! أو تستقيم لي قناتكم. إن كذبة الأمير بلقاء مشهورة فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي. من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب له؛ فإياي ودلج الليل، فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم؛ وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثا لم تكم وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا. فكفوا عني ألسنتكم وأيديكم، أكف يدي ولساني؛ ولا يظهرن من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه. وقد كانت بيني وبين قوم إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي؛ فمن كان محسنا فليزدد في إحسانه، ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته؛ إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته. فإن فعل ذلك لم أنظره؛ فاستأنفوا أموركم، واستعينوا على أنفسكم؛ فرب مبتئس بقدومنا سيسر؛ ومسرور بقدومنا سيبتئس.أيها الناس: إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة؛ نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بقيء الله الذي خولنا؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا؛ ولكم علينا العدل فيما ولينا؛ فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا؛ واعلموا أني مهما أقصر عنه فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه، ولا مجمرا لكم بعثا؛ فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون؛ ومتى يصلحوا تصلحوا؛ ولا تشربوا قلوبكم بغضهم؛ فيشتد لذلك أسفكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم؛ مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم. أسأل الله أن يعين كلا على كل. وإذا رأيتموني أنفذ فيكم أمرا فأنفذوه على

أذلاله، وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل أمرئ منكم أن يكون من صرعاي. ثم نزل" [١]. ومن الامور التي ذكرها والتي تحسن صورة زياد وتلقي باللوم على العراقيين هي: " إن زيادا قدم العراق وهي جمرة تشتعل فسل أحقادهم، وداوى أدواءهم، وضبط أهل العراق بأهل العراق"[٢] بالضد من الحجاج الذي" قدمها ... فكسر الخراج، وأفسد قلوب الناس ولم يضبطهم بأهل الشام فضلا عن أهل العراق" [٣]، والملاحظ في النصيين أعلاه، أن ابن عبد ربه أو من نقل عنه أستخف بالعراق (البلد) فاستعمل صيغة المؤنث له بدل المذكر بغية التقليل من شأنه. ولا ينفك ابن عبد ربه في سوق أمثلة تُظهر العراقيين بالمنافقين فقد ذكر عن أحد الرواة أن الحجاج حين جاء إلى العراق جاء ليقتل المنافقين؟![٤] وإنه دائماً كان يشكو سوء طاعة أهل العراق للدولة الأموية، وهي كانت وراء اسلوبه القاسي معهم[٥]، وينقل خطب عدة للحجاج فيها من الوعيد والتهديد للعراقيين والتجريح بهم ورميهم بالمروق عن الدين، مثل تلك الخطبة التي آلقاها في البصرة[٦]، كما إنه لا ينفك في إيراد كلام الحجاج بشأن العراقيين ووصفهم بأهل الشقاق والنفاق في سبيل تسقيطهم والنيل من سمعتهم في المجتمعات الإسلامية ومن ذلك قوله: " يأهل العراق، يأهل الشقاق والنفاق ومساويء الأخلاق، وبني اللكيعة[٧]، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفقه بالقرقر[٨] ...." [٩]، وقوله في مناسبة آخرى : " يأهل العراق، إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف[١٠] ثم أفضى إلى المخائخ

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٠٠-٢٠١.
(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص٢٧٠.
(٣) المصدر نفسه والجزء ، ص٢٧٠-٢٧١.
(٤) ينظر : المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٣٢.
(٥) ينظر : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٠٣-٢٠٤.
(٦) ينظر : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٠٦-٢٠٧.
(٧) اللكيعة : اللئيمة. ابن منظور، لسان العرب ، ج ٨، ص ٣٢٣.
(٨) القرقر: القرقرة وسط القاع ووسط الغائط المكان الأجرد منه لا شجر فيه ولا دف ولا حجارة حجارة ، إنما هي طين. ابن منظور، لسان العرب ، ج٥، ص٨٦.
(٩) ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص٢٠٤.
(١٠) الشَّغَافُ: غلاف القلب، وقيل: هوحبة القلب وهو سويداءه ، ابن منظور، لسان العرب ، ج٩، ص ١٧٩.

[١] والصمائخ [٢]، ثم ارتفع فعشش؛ ثم باض وفرخ، فحشاكم شقاقا ونفاقا، أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه، وقائدا تطيعونه، ومؤامرا تستشيرونه، فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو يردكم إيمان؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر؛ وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر، وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا؛ وتنهزمون سراعا؛ ثم يوم الزاوية [٣]؛ وما يوم الزاوية؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم؛ إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها؛ لا يسأل المرء منكم عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه، حتى عضكم السلاح، وقصمتكم الرماح، ثم يوم دير الجماجم: وما دير الجماجم؟ بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام عن مقيله [٤]، ويذهل الخليل عن خليله. يأهل العراق والكفرات بعد الفجرات؛ والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات، إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم؛ لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة! يأهل العراق: هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاو، أو استفزكم عاص أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع- إلا وثقتموه وآويتموه وعززتموه ونصرتموه ورضيتموه. يأهل العراق؛ هل شغب شاغب، أو نعب

(١) وردت في نسخة اخرى (المخاخ) ، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ، تحقيق: أحمد أمين وأخرين ،ط٢(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٦٢م) ، ج٤ ، ص١١٦. و المخائخ يعني بها ما بداخل العظام من مخ ، ابن منظور، لسان العرب،ج٣، ص٥٢.

(٢)الصِّمَاخَ: مفردها الصماخ وهو الخرق الباطن من الاذن الذي يفضي إلى الرأس. ابن منظور، منظور، لسان العرب ، ج ٣،ص ٣٤ ؛ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين (بلا مكان طبع : دار الهداية ، د. ت) ج ٧، ص ٢٩٣.

(٣) الزاوية: موضع قرب البصرة، كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الاشعث، قتل فيها خلق كثير من الفريقين وذلك في سنة ٨٣ للهجرة. انظر: الطبري ، بتاريخ الطبري ،ج٦، ص ٣٤٠- ٣٨١ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص١٢٨.

(٤) مقيله : أي موضع الرأس أي إزالة الرأس من مكانه . أبن منظور، لسان العرب ، ج ١١، ص ص ٥٧٨.

ناعب، أو نعق ناعق، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره. يأهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟"[١]

في عرضه لا مثلته التي تسيء للعراقيين كان يعرف كيف يضعها وعلى لسان من هم محل ثقة في المجتمع الإسلامي مثل عمر بن عبد العزيز الذي ذكر عنه انه: "أتاه[أي عمر بن عبد العزيز] كتاب عدي يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة، فوقع في كتابه: لا تطلب طاعة من خذل عليا، وكان إماما مرضيا" [٢]، ومن الأمثلة الأخرى التي تسيء للعراقيين ذكر أنه حين " ولي يزيد بن عبد الملك، وجه الجيوش إلى يزيد بن المهلب، فعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وللعباس بن الوليد على أهل دمشق خاصة؛ فقال له العباس: يا أمير المؤمنين، إن العراق قوم إرجاف " [٣]، وقول قتيبة بن مسلم الباهلي: "يأهل العراق، ألست أعلم الناس بكم؟ أما هذا الحي من أهل العالية فنعم الصدقة، وأما هذا الحي من بكر بن وائل فعلجة [٤]بظراء لا تمنع رجليها، وأما هذا الحي من عبد القيس فما ضرب العير بذنبه، وأما هذا الحي من الأزد فعلوج خلق الله وأنباطه؛ وايم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم، وأما هذا الحي من تميم فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان"[٥]. وبغية أن يشوه سمعة العراقيين عمد إلى انتقاء أمثلة صدرت من غير الأمويين لأجل أن يبين أن العراقيين غير مرضي عنهم حتى من غير الأمويين بالضد من أهل الشام، وقد جسد ذلك في المثال الأتي: "وقال عبد الله بن الزبير لأهل العراق: وددت والله لو أن لي بكم من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم " [٦] كما عمد أن يشوه كل عمل تحرري من القبضة الأموية قام به العراقيون مثل حديثه عن المختار الذي قاد ثورة ضد الحكم الأموي التي عبرت عن الرفض العراقي للحكم الأموي وثأراُ لمقتل الحسين بن علي، أظهره إنسان مارق

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٠٤-٢٠٥.
(٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٢٩٠.
(٣) المصدر نفسه الجزء والصفحة. وارجاف تعني : الرَّجَفانُ ويقصد هنا انهم شديدي الاضطراب غير مستقرين الراي ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩، ص١١٢.
(٤) علجة بضراء: يعني هنا انثى الحمار الوحشي طويلة البظر . ابن منظور، لسان العرب ، ج ٢، ص٣٢٦.
(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص٢١٣.
(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص٧.

أدعى النبوة وأن جبريل ينزل عليه ويأتيه بالوحي من الله [١]، وهذه كانت من اشنع الأساليب التي استعملها الأمويون ضد خصومهم من العلويين وأتباعهم كما جرى مع أبي ذر الغفاري[٢] .

نخلص من كل ذلك أن ابن عبد ربه حرص على أن يُظهر الأمويين وولاتهم وأهل الشام بالمظهر الحسن وبالضد من العراقيين، الذين عرضهم أناس مشاغبين ينعقون وراء كل ناعق، وان ساق بعض الأمثلة التي تشير بصورة غير مباشرة إلى قساوة الحجاج ضدهم[٣] ، لكن كان ابن عبد ربه يسوغها بأنها استحقاق العراقيين، أو أحيانا أستعملها بمضمونها كان يبدو فيها متناقضاً في حكمه على العراقيين ، لكن في الحقيقة وحتى لا يظهر أمام الرأي العام بعدم الحيادية، ولأجل أن يُخفي توجهه الأموي، وأحياناً يسوق امثلة وهي قليلة جدا عن الخليفة عمر بن عبد العزيز يوبخ بها واليه على العراق عدي بن ارطأة لأنه أساء التصرف مع العراقيين[٤] أو في مثال آخر قول عبيد الله بن زياد لقيس بن عباد:" ما تقول في وفي الحسين؟ قال: أعفني عافاك الله. قال: لا بد أن تقول. قال: يجيء أبوه يوم القيامة فيشفع له، ويجيء أبوك فيشفع لك"[٥] لك"[٥] .هي في الحقيقة كان ذراً للرماد في العيون من ابن عبد ربه. وأنه كان ذكياً في أحياناً كثيرة في انتقاء امثلته وتسويغها جعلها أحداثاً قد صدرت عن شخصيات لا تُثير الشك في المجتمع الإسلامي مثل الخليفة عمر بن الخطاب أو الإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين، أو عمر بن عبد العزيز وغيرهم.

لكن يبقى أفضل رداً ناجع ضد تلك المزاعم بمختلف عنواناتها التي سوغت ضد العراقيين سواء أكانت من ابن عبد ربه أو ممن نقل عنهم هو: أن الذين بنوا حضارة تصدرت حضارات العالم، والذين جعلوا من بغداد في العصر العباسي قبلة العالم لم يكونوا بهذا السوء الذي عرضه الإعلام الأموي المغرض، وأن أفترضنا جدلاً أن هناك بعض ممن ينطبق عليهم تلك الحالات، فهم ليسوا عراقيين أُصلاء وإنما طارئون ؛ لأن إذا عديناهم عراقيين أصلاء فسوف نقع بإشكالية

(١) المصدر نفسه ، ج ٥، ص١٨٨.
(٢) رياض عبد الحسين البدراوي ، أبو ذر إسلامه ومعارضته ، ط١(دمشق: دار تموز، ٢٠١٢) ص١٥٢.
(٣) ينظر على سبيل مثال: العقد الفريد ، ج٤، ص١٠٧-١٠٨، ٢٠٧، ٢٠٨- ٢٠٩، ٢١١.
(٤) المصدر نفسه ، ج ٥، ص١٨.
(٥) المصدر نفسه ، ج٢، ص٤٨.

إذ كيف بنوا تلك الحضارات التي بهرت العالم، وأن قبلنا بتلك الأمثلة سنحكم على الامام علي بالسذاجة ؛ لأنه كيف خُدع بمثل أولئك الناس وقرر أن ينقل عاصمته في بلادهم ؟! ثم أن ابن عبد ربه ينقل رواية يبدو إنه لم يُدرك أبعاد تلك الرواية التي تكشف زيفه كما توضح أحقية العراقيين في رفضهم للحكم الأموي وهي: حين تسلم عمر بن عبد العزيز الحكم ذهبوا اليه بوفد أطلقوا عليه وفد الشكر ليقدموا شكرهم له [١]، فهذا يدل على أن أهل العراق ليس مثل ما وصفهم الحجاج ومن على شاكلته كما ظهر في الروايات التي ساقها ابن عبد ربه في ما سبق ، بغية تعزيز هدفه وهو شرعية الحكم الأموي وأن العراقيين كان خروجهم ضده باطل ، بل أظهروا في وفدهم للخليفة عمر بن عبد العزيز أنهم شعب لا يسيئ لأحد إلا اذا تعسف عليهم بدليل أنهم لم يرفضوا سياسية عمر بن عبد العزيز، وليس كما وصفهم وصورهم ابن عبد ربه.

ثانياً ــ الرفض العراقي للأمويين

بقى أهل العراق لا سيما أهل الكوفة وهم في الأعم الأغلب من شيعة الامام علي مكرهين على بيعة معاوية بن أبي سفيان؛ لأنهم وقفوا إلى جانب الامام علي وناصروه ضد معاوية وأهل الشام، كما أنهم كانوا يرون أن الخلافة حق شرعي للإمام علي وأولاده وذريته، لذلك لا نجد غرابة أن يوصي معاوية أبنه يزيد بشأن الامام الحسين والعراقيين بقوله: " وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحما ماسة وحقا عظيما، " [٢]، فقد بقى العراقيون رافضين لبيعة معاوية، وطوال حكم معاوية والأمويين لم يتغير رأي أهل الكوفة في معاوية حتى بعد أن أستحكم له الأمر وتوطدت دعائم حكمه، فقد ظلوا يُظهرون ذلك البغض ويقذفونه بعبارات السب والشتم في دلالة منه على ذلك الرفض [٣]، وهو أمر شمل كل العراقيين سواء أكان على مستوى زعماء القبائل أو الافراد ، والذي بقى ينمو ويتطور في نفوس العراقيين طيلة العصر الأموي، فليس من الغريب أن يكون

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢، ص١٧.

(٢) الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ، ج ٥، ص٣٢٢.

(٣) الراوي ، ثابت اسماعيل .العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية، ط١، (بغداد : مكتبة النهضة ، ١٩٦٥م) .، ص ١٣٦.

أهل العراق غير مخلصين في طاعة الدولة الأموية وولاتها في العراق، ومشاعر الرفض لم تقتصر على الخلفاء والأمراء الأمويين، بل تعداه إلى أهل الشام أيضاً [١]، ومما يروى في هذا المجال سألوا يوما الحسن البصري " والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام، فقال: أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم! أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله ص، يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال! قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدين، لا يتناهون عن انتهاك حرمة" [٢]هذا الشعور قد صدر عن العابد الزاهد فيكيف شعور الآخرين؟!

الذي نتوخى قوله هنا، هو أن الصور التي رسمها ابن عبد ربه عن العراق من الناحية السياسية، لم تُظهر الموقف العراقي ضد خلفاء بني أمية وولاتهم على حقيقته، وحقيقته هو كره العراقيين للأمويين وحكمهم، وذلك الكره لم يُخفوه بل كانوا يُظهرونه في كل مناسبة، كانوا يغتنمونها ليعبروا بعدة وسائل بغية التخلص من الحكم الأموي، فمثلاً حين يتعرض المغيرة بن شعبة في خطبه وحواراته للإمام علي كان يرد عليه حجر بن عدي بـــ " بل إياكم فذمم الله ولعن! ثم قام فقال: إن الله عز وجل يقول: "كونوا قوامين بالقسط شهداء لله"[٣] ، وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطرون أولى بالذم فيقول المغيرة: يا حجر، لقد رمي بسهمك، إذ كنت أنا الوالي عليك، يا حجر ويحك! اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضبة السلطان أحيانا مما يهلك أمثالك كثيرا "[٤]، ومرة خطب ابن غيلان وهو أمير على البصرة، وقد تعرض للإمام علي فحصبه رجل من بني ضبة[٥]، ولما بلغ العراقيين خبر بيعة يزيد بن معاوية نادوا يستدعون الحسين بن علي من الحجاز لينصبوه خليفة في إشارة الى إعلان رفضهم للحكم الأموي ، وحين وصل العراق أعلن ثورته المعروفة والتي انتهت

---

(١) الراوي ، ثابت اسماعيل .العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، ص ١٣٧.

(٢) الطبري ، تأريخ الطبري ، ج٦، ص ٥٨٨.

(٣) النساء ، اية ١٣٥.

(٤) الطبري ، تأريخ الطبري ، ج٥، ص٢٥٤.

(٥) المصدر نفسه والجزء ، ص٢٩٩.

بمجزة كبيرة في كربلاء[١]، لكن كما رأينا كيف تلاعب ابن عبد ربه بنصوصها ، وسوغها في صالح الأمويين، ومن مؤشرات كره العراقيين لبني امية هو التفافهم بعد معركة كربلاء نحو زعيم شيعي معروف هو سليمان بن صرد الخزاعي ، الذي قاد ثورة التوابين سنة (٦٥هـ) أيام مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ) وهي الأخرى كانت تعبيراً عراقياً رافضاً للحكم الأموي[٢]، وبعد ثورة التوابين ثار العراقيون سنة (٦٧هـ) تحت راية المختار الثقفي أيام عبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ) معبرين عن رفضهم للحكم الأموي [٣]، تلك الثورة التي سطحها ابن عبد ربه ونسب لقائدها أمور بعيدة عنه لأجل أن يفرغها من محتواها كما سبق أن نوهنا لذلك، وكانت ثورة زيد بن علي سنة (١٢١هـ)هي الأخرى تعبيرا عن رفض العراقيين للحكم الأموي ، وقد ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجا على هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) داعيا للكتاب والسنة ، وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء ، ورد المظالم ، وأفعال الخير ونصرة أهل البيت[٤]. ان تلك الثورات كانت تحمل طابعا علوياً خاصاً ، لكن بشكل عام مثلت رفضا للحكم الأموي ، وهناك ثورات أخرى حملت طابعا

---

(١) ينظر: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ، تأريخ اليعقوبي ، (النجف: مطبعة الغري ، ١٣٥٨هـ) ، ج٢ ، ص ٢١٦ــ ٢١٩ ؛ الطبري، تأريخ الطبري ، ج٥، ص٣٤٧ ؛ علي بن الحسين بن محمد أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، (بيروت: دار المعرفة، د. ت) ص ٨٣ فما بعدها ؛ ابن خلدون ، تأريخ ابن خلدون ، ج٣، ص ٢٧ فما بعدها.

(٢) للتفاصيل ينظر: اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ٤ ؛ الطبري، تأريخ الطبري، ج٥، ص٥٥٢ فما بعدها ؛ أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي ، ط٢(طهران: سروش ، ٢٠٠٠)ج ٢، ص ١٠٨ فما بعدها ؛ ابن خلدون ، تأريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص ٢١٦ فما بعدها.

(٣) للتفاصيل ينظر: اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي، ج ٣ ، ص ٤ ؛ الطبري، تأريخ الطبري ، ج٥، ص٥٦٩ فما بعدها ؛ مسكويه، تجارب الأمم ، ج٢، ص ١٤٦ فما بعدها ؛ تأريخ ابن خلدون ، ج ٣، ص ٣٠ -٣٦ .

(٤) للتفاصيل ينظر: ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي ، ط٢(بغداد: مكتبة النهضة، ٢٠٠٧) .

إقليميا قومياً ، لكنها كانت في شكلها العام تمثل رفضا للحكم الأموي مثل ثورة عبد الرحمن بن الاشعث أيام عبد الملك بن مروان سنة ٨٢هـ [١]، ولا ننسى ثورات الخوارج في العراق التي كانت تحتفظ برؤية جديدة تعتمد الدين في تثبيت الحكم ، وقد استمرت طليت الحكم الأموي وقد كانت شديدة حتى أيام عبد الملك بن مروان الذي تمكن من كسر شوكتها[٢]، كما مثلت حركة (عبد الله بن الجارود) سنة (٧٦هـ)رفضا للحكم الاموي ، بعد أن أعلن (الحجاج) عزمه على إنقاص الزيادات في الأعطيات الخاصة بالمحاربين من أهل العراق ، بحجة أن من أقر هذه الزيادة كان (عبد الله بن الزبير) ، وأنه أي (الحجاج) لن يعترف بها ، فقال (ابن الجارود) ، بل من أقرها هو (أمير المؤمنين عبد الملك) ولذلك أنت ملزم بها. ونحن نعلم أن أهل العراق كانوا ناقمون على (الحجاج) لشدته وعنفه، وما كانوا ليتركوا أمرا يثير الجدل بينهما إلا التمسوه، وموضوع أعطيات الجنود فرصة عظيمة لهم للخروج على (الحجاج) بشكل خاص ومن ثم ضد الحكم الاموي بشكل عام [٣] ، وثورة يزيد بن المهلب ومعه من بني المهلب سنة ١٠٢هـ هي

---

(١) ينظر: ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون،ج٣، ص ٦٤-٦٥؛ ٦٥؛ صالح بن عبد الله بن محمد البركات الغامدي، حركة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي في العصر الاموي، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٩١ ؛ دكسن ، الخلافة الأموية ، ص ٢٥٦.

(٢) ينظر: يوليوس فلهوزن ، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، تعريب، عبد الرحمن بدوي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨)، ص ٣٩٨-١٤٥ ؛ لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها الى نهاية العهد الأموي(٣٧-١٣٢هـ) ط١(بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠١).

(٣) عن حركة عبد الله بن الجارود ينظر: الطبري، تأريخ الطبري، ج٦، ص ٢١٠ ؛ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المنتظم في تأريخ الأمم والملوك ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)ج٦، ص١٦٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٣، ص ١٠٠؛ فاروق عمر فوزي، الخلافة الاموية دراسة لأول اسرة حاكمة في الإسلام(٤١-١٣٢ه)،ط١(عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩) ص٢٤٣.

الأخرى كانت تعبيرا عن رفض العراقيين للحكم الاموي [١]. علاوة على الأمثلة التي أوضحت أحقية العراقيين في رفضهم للحكم الأموي، وشجاعتهم بمقارعته عبر عدة ثورات مر ذكرها، فأن بناء واسط من الحجاج الثقفي كان إشارة واضحة عن عدم رضى العراقيين عن الحكم الأموي، لأن الهدف من بنائها هو لأجل أن يأمن من غضب أهل الكوفة والبصرة ويعيش في مدينة فيها أهل الشام فحسب [٢].

أن ما ورد من شواهد تأريخية في موضوع (الرفض العراقي للأمويين) هو الحقيقة التي غيبها ابن عبد ربه تلك التي تشير إلى الظلم الأموي الذي جوبه بردة الفعل العراقية العنيفة الممثلة بالثورات التي قاموا بها والتضحيات التي قدموها.

الخلاصة والاستنتاجات

إن ما مر بنا وما هدفنا من توضيحه، وتقديمه للقارئ المختص وغير المختص، هو كيف رسم ابن عبد ربه صورة العراق بريشته ذات التوجه السياسي الأموي، ذلك التوجه الذي كان يرفضه العراقيون، ويحاربونه سابقا، وما زالت إلى اليوم تتذكر أجيالهم الظلم الأموي، كما إنه توجه في الوقت نفسه مناهض للعباسيين الذين يحتضن العراق عاصمتهم ، بعد أن كانت في دمشق حيث مستقر اتباع الأمويين، ومقر سلطتهم، ذلك التطور السياسي كان له ردود فعل إيجابية على العراقيين الذي اشعرهم بنشوة النصر حين عادت العاصمة إلى بلدهم من جديد بعد

---

(١) عن ثورة يزيد بن المهلب ينظر: الطبري، تأريخ الطبري، ج ٦، ص ٥٧٨ فما بعدها ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢، ص٤٧١ فما بعدها ؛ ابن خلدون ؛ تأريخ ابن خلدون، ج٣، ٣٠-٣٦ ؛ فاروق عمر فوزي ، الخلافة الأموية دراسة لأول إسرة حاكمة في الإسلام (٤١-١٣٢ه)، ص٢٤٦.

(٢) عن بناء واسط واسبابه ينظر: الطبري، تاريخ الطبري ، ج٦، ص ٣٨٣ فما بعدها ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص٦٨.

أن كانت الكوفة في العصر الراشدي، ونقلها الأمويون الى دمشق، والذي مثل صدمة كبيرة للعراقيين في وقتها.

على اية حال، أن ذلك التحول ونعني به نقل العاصمة من العراق إلى دمشق ترك عِداء مناطقيا بين أهل العراق والشام، وحين تم القضاء على الأمويين من العباسيين، وأنتقال العاصمة إلى العراق صاحب ذلك تطوراً سياسياً بالمقابل ترك في الوقت نفسه جرحاً في نفوس الأمويين وأتباعهم من أهل الشام، ولم يقتنعوا بذهاب دولتهم ، فقد بذلوا قصارى جهدهم في سبيل بناء قاعدة لمن تبقى من الاسرة الاموية واتباعهم بعيدا عن مركز الخلافة العباسية املاً في التحرك منها في إسقاط الدولة العباسية والعودة إلى دمشق وإعادة أمجاد الدولة الأموية من جديد، كانت تلك القاعدة هي الأندلس التي أسس فيها عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ) الإمارة الأموية في الأندلس، وحين تعذر عليهم إسقاط الخلافة العباسية ، قرروا إعلان خلافة خاصة بهم سنة (٣١٦ هـ) أيام عبد الرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ) ، ذلك الإعلان الذي عاصر أحداثه ابن عبد ربه ، ومن المؤكد أن ذلك مجتمعا كان له تداعياته على رسم الصورة العراقية من ابن عبد ربه ، تلك التي استنتجناها وأهم ما جاء بها:

١ـ كان التأثير السياسي والمناطقي والمذهبي واضحاً في كتابات ابن عبد ربه ، ونعني به الانحياز للأمويين ولأهل الشام على حساب أهل العراق في مختلف توجهاتهم سواء أكانت علوية أم عباسية أم غير ذلك، وفي مختلف العصور التي كتب فيها ابن عبد ربه عن العراق. الأمر الذي ننبه الباحثين عليه من الذين يستعملون ابن عبد ربه مصدراً في كتاباتهم عن الشأن العراقي بان يكونوا على حذر في التعامل مع ما ينقله من روايات عن العراق وأهله.

٢ـ أعار أهمية كبرى للجانب السياسي مركزا الأمر على العصر الأموي مع نتف من العصر الراشدي لكن بتوظيف سلبي يخدم توجهاته السياسية أما عن العصر الأموي في العراق فكان نصيبه الاوفر مقارنة بالعصر الراشدي والعباسي ، من أجل أن يظهر العراقيين بمنظر الخارج عن السلطة والشرع، بالمقابل يحسن صور الأمويين وأهل الشام على حساب أهل العراق، وهو ما كان يعمل عليه في كتابه العِقد الفريد .

٣ــ لما كان العراق مركز المعارضة العلوية للأمويين ومن بعدهم العباسيين، حاول أن ينتزع من العراقيين عامة والعلويين خاصة حقوقهم المسلوبة من الأمويين مًظهرا الظلم الأموي وقسوة الولاة بأنها ردة فعل على تمردهم غير المسوغ، وأنهم شعب غير مرضي عنه من حكام الإسلام، حتى إن الامام علي(ع) كان ينتقدهم، وأنهم خذلوا أبنه الحسن وهم المسؤولون عن مقتل الحسين والأمويون براء من مقتله، هكذا وصل الامر بابن عبد ربه للنيل من العراق وأهله لدرجة كان يعتقد ببراءة معاوية من دم الإمام علي والحسن، وبراءة أبنه يزيد من دم الحسين، بل وصلت به الحال إلى أنه لم يحَمل عبيد الله بن زياد مقتل الحسين بن علي، بل تمادى في حكمه على أهل العراق حتى إنه حملهم مسؤولية مقتل مصعب بن الزبير مبرئاً ساحة عبد الملك بن مروان والحجاج من مقتله، كل ذلك مجتمعا حتى يظهر الأمويين وولاتهم بمظهر الحاكم العادل وأهل العراق هم الخارجون عن السلطة والشرع، إرضاء لتوجهه السياسي.

٤ــ إن نهجه السلبي تجاه العراق كان واضحا أيضا في تقزيم الثورات التي قام بها أهل العراق، وتعامل معها بأسلوب التسطيح والتجاهل بأن أهمل ذكرها، أو أحيانا نسب لها أمور خارجة عن الدين ، كما فعل مع ثورة المختار الثقفي التي هزت عرش السلطة الأموية.

٥ــ نستشف نهجه السلبي تجاه العراق، ومحاولته توظيف الروايات التأريخية توظيفاً سلبياً بالضد من العراق وأهله ، هو حذفه لأسانيد الروايات بغية أن يغطي على هدفه الحقيقي في تحسين الصورة الأموية على حساب العراق وأهله، لا كما أدعى في مقدمته من أنه حذف تلك الأسانيد من أكثر الأخبار " طلبا للاستخفاف والإيجاز، وهربا من التثقيل والتطويل لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر، لا ينفعها الإسناد باتصاله ، ولا يضرها ما حذف منها" [1] ؛ لأن من غير المعقول أن يتندر بسمعة العراقيين ، كما إنه من غير المعقول أن يتندر بقضية لها وقعها في نفوسهم ألا وهي قضية الحسين بن علي ، ومن غير المعقول أن يحول الظلم الأموي إلى عدالة تحت يافطة النادرة والفكاهة ؟!

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١، ص٥-٦.